مجلة
كلية البنات الأزهرية بالعاشر
من رمضان

# اقْتِضَاءُ اجْتِماعِ "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" وَافْتِرَاقِهِمَا فِي النَّظْمِ الْحَكِيمِ دِرَاسَةٌ بَلَاغِيَّةٌ

إعداد

د/ وديدة عبد الظاهر السيد الشناوي

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة

جامعة الأزهر– جمهورية مصر العربية.

العدد العاشر يونيو ٢٠٢٥ م

الترقيم الدولي (٣٦٠٧-٢٦٣٦)

الترقيم الدولي الإلكتروني(٣٦١٥-٢٦٣٦)

رقم الإيداع بدار الكتب (٢٠٢٥/٢٤٣٢٩)

## ملخَّص البحث

## اقْتِضَاءُ اجْتِماعِ "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" وَافْتِرَاقِهِمَا فِي النَّظْمِ الْحَكِيمِ دِرَاسَةٌ بَلاغِيَّةٌ

هذا بحثٌ في واحدٍ من الأساليب العربية الفصيحة البليغة التي تكررت كثيرًا في آيات الذكر الحكيم، ووضح فيها الإعجاز البلاغيّ بصورة تبهر السامعين والقارئين، في سياقها السابق واللاحق، بعنوان: (اقتضاء اجتماع "سبحانه وتعالى" وافتراقهما في النظم الحكيم دراسةٌ بلاغية).

وسبب اختيار موضوع هذا البحث هو التأمُّل والتمعُّن في سياقات الذكر الحكيم عند استعمال أسلوب "سبحانه وتعالى"، فأحيانًا تأتي الكلمتان متلازمتين متضامَّتين، وأحيانًا تأتي كلمة "سبحانه" مفردةً هكذا، وتأتي كلمة "تعالى" وحدها أيضًا.

ولا شكَّ أنَّ هناك سرًّا بيانيًّا وإعجازًا بلاغيًّا في طريقة استعمال الذكر الحكيم لهذا الأسلوب، فرضيه السياق الذي وقعت فيه هاتان الكلمتان، فشغفت بالكشف عن هذه الأسرار البلاغيَّة، فكان هذا الموضوع لأوضِّح أسرار اجتماع الكلمتين وافتراق كلِّ واحدةٍ منهما.

وتدور مشكلة هذا البحث وأهميته حول سرِّ اجتماع "سبحانه وتعالى" وسر افتراقهما، والأسباب الداعية إلى طريقة استعمال هذا الأسلوب، لا سيما وأنَّ هذا الأسلوب كان لا يَرِدُ إلا عند أخطر قضايا العقيدة الإسلامية، من مثل دعوى وجود إله مع الله تعالى، ودعوى أن يكون له ولدٌ، ودعوى نسبة البنات إليه سبحانه وتعالى، ودعوى خلق

الملائكة إناثًا، وأنَّهم بنات الله، وغير ذلك مما سيتضح في أوانه وزمانه، تعالى الله عن اتخاذ الشريك والولد علوًّا كبيرًا.

وبعد الدراسة اتضح أنَّ القرآن الكريم قد بيّن لنا كيف أنَّ استخدام "سبحانه" و"تعالى" على وجه الخصوص يمثل تنزيهًا لله عن كل نقص وتأكيدًا لعلو مكانته، مما يسهم في بناء الإيمان الكامل والتوحيد العقائدي لدى المسلم، وبالمقارنة مع ألفاظ أخرى مثل "الكبير" و"المتعالي" نجد أن القرآن يحرص على توظيف الألفاظ المناسبة لتسليط الضوء على جوانب متعددة من صفات الله تعالى، بما يتناسب مع السياق البلاغي والهدف العقائدي والتربوي الذي يُراد تحقيقه.

واقتضت طبيعةُ هذا البحث أن يكونَ في مقدمةٍ، وثلاثة مباحث، وخاتمةٍ.

**الكلمات المفتاحية:** اقتضاء، اجتماع، سبحانه وتعالى، افتراق، النظم الحكيم، بلاغية.

# The Necessity of the Convergence and Separation of Subhanahu Wa Ta‘ala (Glory be to Him, the Most High) in the Wise Structure of the Quran: A Rhetorical Study

**Abstract**:

This study examines one of the eloquent and sophisticated linguistic structures frequently recurring in **the Quranic text**, where the miraculous rhetorical style manifests **in a captivating manner** for both listeners and readers. The study, titled "**The Necessity of the Convergence and Separation of Subhanahu Wa Ta‘ala in the Wise Structure of the Quran: A Rhetorical Study**," explores the **linguistic and rhetorical wisdom** underlying this Quranic usage.

The motivation behind this study lies in the **close examination of Quranic contexts** in which the phrase **Subhanahu Wa Ta‘ala** appears. Sometimes, the two words **are conjoined**, while at other times, **Subhanahu** or **Ta‘ala** appears **independently**. This stylistic variance **raises profound rhetorical questions**, inspiring an exploration into the **linguistic secrets** behind their conjunction and separation.

The core problem and significance of this study revolve around understanding **the rationale behind combining Subhanahu and Ta'ala versus using them separately**, particularly since this structure appears **in discussions on critical Islamic theological issues**. These include **claims of associating partners with God**, **attributing offspring to Him**, **designating daughters to Allâh**, **and portraying angels as female beings**. The study **analyzes these instances**, illustrating how the **Quran categorically refutes such assertions**, affirming **Allâh's absolute transcendence** above all imperfection.

Findings demonstrate that the **Quranic usage of Subhanahu and Ta'ala** functions as a **linguistic tool for affirming Allâh's absolute transcendence** and reinforcing **Islamic monotheism**. A comparative analysis between **Subhanahu Wa Ta'ala** and other attributes such as **Al–Kabeer** (**The Great**) **and Al–Muta'ali** (**The Supreme**) reveals the Quran's **precise selection of terms** to highlight **diverse aspects** of divine attributes in a way that aligns with **rhetorical effectiveness and theological intent**.

**Keywords**: Necessity, Convergence, Subhanahu Wa Ta'ala, Separation, Wise Structure, Rhetoric.

## مُقدِّمة:

الحمدُ للهِ الذي أنزلَ الكتابَ بلسانٍ عربيٍّ مُبينٍ، وجعلَ القرآنَ الكريمَ معجزةً خالدةً تَفيضُ بلاغةً فريدةً لا ينضبُ معينُها، ولا يزولُ تجدُّدُ الفهمِ والاعتبارِ بها، أمَّا بعد:

فيُعدُّ القرآنُ الكريمُ المصدرَ الأوَّلَ للبلاغةِ العربيةِ، وأسمى نموذجٍ للتعبيرِ اللُّغويِّ المعجز، وفي خضمِّ هذا النظمِ الحكيمِ تبرزُ صيغُ التَّنْزيه الإلهيّ كنماذجَ بلاغيةٍ فريدةٍ تستحقُّ الدراسةَ والتحليلَ، تتجلَّى هذه الصيغُ في كلمتي "سُبْحَانَهُ" و"تَعَالَى"، اللتين تحملان أبعادًا دلاليةً عميقةً، ودقائقَ بلاغيةً متناهيةً في وصف الذات الإلهيّة العليَّة.

يأتي هذا البحثُ لسدِّ فجوةٍ معرفيَّةٍ في الدراسات البلاغيَّة المتخصِّصة، حيث يسعى إلى الكشفِ عن الخصائصِ الدقيقةِ لهاتيْن الكلمتيْن في النظمِ القرآنيّ، فالتَّنْزيهُ الإلهيُّ ليس مجردَ تعبيرٍ لغويٍّ، بل هو منظومةٌ معرفيَّةٌ متكاملةٌ تعكسُ عمقَ التصوُّر القرآنيّ لجلالِ اللهِ وكمالِهِ.

**وتكمنُ أهميةُ الدراسةِ** في محاولةِ فهمِ الأبعادِ البلاغيَّة المتشابكةِ الَّتِي تُمَيِّزُ استخدامَ "سُبْحَانَهُ" و "تَعَالَى" في مختلفِ السِّياقاتِ القرآنيةِ.

**وتنطلقُ الدراسةُ من فرضيةٍ** مفادُها أنَّ اجتماعَ كلمتَيْ "سُبْحَانَهُ" و "تَعَالَى" وافتراقَهما لا يأتي اعتباطًا، بل يحملُ دلالاتٍ بلاغيَّةً عميقةً ترتبطُ بسياقِ الآيةِ ومقامِها، وسيعملُ البحثُ على تفكيكِ هذه الدَّلالات، مستكشفًا الفروقَ الدقيقةَ بين الكلمتيْنِ، وكاشفًا عن أسرارِ النظمِ القرآنيّ في توظيفِ هذه الصيغِ التَّنْزيهيَّةِ، وهو ما يمثل إسهامًا علميًّا في فهمِ الإعجازِ البلاغيّ للقرآنِ الكريمِ، ويفتحُ آفاقًا جديدةً للدراساتِ البلاغيَّة المتخصِّصةِ.

**ويستمدُّ البحثُ أهميتَه** من طبيعةِ الموضوعِ الذي يقفُ عند حدودِ التَّنْزيه الإلهيّ في كتابِ الله، حيث يحاولُ الكشفَ عن الأبعادِ الدقيقةِ للتعبيرِ القرآنيّ في وصفِ الذاتِ

الإلهيّةِ، فكلُّ كلمةٍ في هذا السِّياق تحملُ معانيَ عميقةً وإشاراتٍ بلاغيَّةً دقيقةً تستحقُّ الوقوفَ عندها والتأملَ فيها، وسيكونُ المنهج الاستقرائيُّ التحليليُّ هو الأداة المنهجيَّة الرئيسة في هذه الرحلةِ البحثيَّة التي تسعَى لفهمٍ أعمقَ للنظمِ القرآنيّ الحكيمِ.

وختامًا، أرجو أنْ تُسهمَ هذه الدراسةُ في إثراءِ المكتبةِ البلاغيَّة، وفتحِ آفاقٍ جديدةٍ للتأمُّلِ في الإعجازِ اللغويّ والبلاغيّ للقرآنِ الكريمِ، فالبحثُ محاولةٌ للتعمُّقِ في فَهْمِ كتابِ اللهِ، والكشفِ عن الدقائقِ البلاغيَّة التي تُميّزُ التعبيرَ القرآنيَّ في وصفِ الذاتِ الإلهيّةِ العليَّةِ.

**أسباب اختيار الموضوع:**

من أهمِّ الأسباب الدافعة إلى دراسة هذا الموضوع ما يأتي:

١. **تلبيةً لاقتراح شيخنا الجليل/ محمود توفيق محمد سعد، رحمه الله رحمةً واسعةً، ونفعنا بعلمه:** فقدِ اقترح عليَّ – رحمه الله– البحثَ في هذا الموضوع، في إحدى محاضراتِهِ لنا في كلية الدراسات الإسلاميَّة والعربيَّة– بنات القاهرة، وصاغ عنوانَه، فاللهمَّ ارضَ عنهُ، وانفعنا بعِلمِهِ، واجعلْه ذخرًا له.

٢. **أهمية التَّنْزيه الإلهيّ في القرآن الكريم:** يُعدُّ التَّنْزيهُ الإلهيُّ أحدَ المحاور الأساسية في التصور القرآني للذات الإلهيّة، حيث يعكس جلالَ الله وكمالَه وتنزُّهَه عن أيِّ نقصٍ أو مشابهةٍ للمخلوقات، وكلمتا "سُبْحَانَهُ" و "تَعَالَى" تمثلان ركيزتين أساسيتين في هذا التَّنْزيه؛ مما يجعل دراستهما مدخلًا مهمًا لفهم هذا الجانب من الإعجاز القرآني.

٣. **خصوصيَّة النظمِ القرآنيّ:** يتميز النظم القرآني بدقته البلاغيَّة وانسجامه العجيب، حيث لا تأتي كلمة في موضعها إلا لحكمةٍ وغايةٍ، واجتماع "سُبْحَانَهُ" و "تَعَالَى" أو افتراقهما في الآيات القرآنية يثير التساؤل حول السر البلاغي وراء هذا الاستخدام؛ مما يدعو إلى استكشاف الدَّلالات العميقة التي يحملها كلُّ سياقٍ.

٤. **ندرة الدراسات المتخصصة:** على الرُّغم من كثرة الدراسات البلاغيَّة حول الإعجاز القرآني، إلا أنَّ التركيزَ على كلمتي **"سُبْحَانَهُ" و "تَعَالَى"** بشكلٍ خاصٍّ، ودراسة اقتضاء اجتماعهما وافتراقهما، لم يحظَ بما يكفي من العناية المستقلة؛ وهذا ما يجعل الموضوع محلًّا لسدِّ فجوةٍ معرفيَّةٍ في الحقل البلاغي.

٥. **عمق الدَّلالات البلاغيَّة:** تحمل كلٌّ من **"سُبْحَانَهُ" و "تَعَالَى"** أبعادًا دلالية وبلاغية متفردة، فـ "سُبْحَانَهُ" تشير إلى التَّنْزيه عن النقائص، و "تَعَالَى" تدلُّ على العلو والرفعة، ودراسة هاتين الكلمتين في سياقاتهما المختلفة تكشف عن دقائق بلاغية تضيف إلى فهم الإعجاز اللغويّ للقرآن الكريم.

٦. **الارتباط بمقام الآيات:** يبدو أن اختيار إحدى الكلمتين أو اجتماعهما يرتبط بمقام الآية وسياقها، سواءً في مقام التَّنْزيه عن الشرك، أو التقديس لصفات الله، أو غير ذلك، هذا الارتباط يفتح المجال لتحليلٍ بلاغيٍّ يُبرز العلاقة بين المعنى والسِّياق، وهو ما يعزِّز أهمية الموضوع.

وفي ضوء هذه الأسباب، يتضح أنَّ اختيار الموضوع ليس مجرد اهتمامٍ عابرٍ، بل هو استجابةٌ لحاجةٍ علميةٍ ومعرفيةٍ تتعلق بفهم النظم القرآني الحكيم، والكشف عن جماليَّات التَّنْزيه الإلهيّ فيه؛ مما يجعل الدراسة خطوةً نحو تعزيز الوعي بإعجاز القرآن الكريم لغويًّا وبلاغيًّا.

**حدود البحث ومشكلاته:**

سيحاول البحث الإجابة عن تساؤلات جوهرية: هل هناك فروقٌ دقيقةٌ بين "سُبْحَانَهُ" و "تَعَالَى"؟ متى يجتمعان، وبم يفترقان؟ كيف يؤثر سياق الآية على اختيار إحداهما؟ وما الدَّلالات البلاغيَّة المستنبطة من هذا الاستعمال؟ وعبر هذه التساؤلات، يسعى البحث إلى إثراء الفهم البلاغي والدلالي للتنزيه في القرآن الكريم.

وتبرزُ إشكاليةُ البحثِ في دراسة الترابُط البلاغي والدلالي بين كلمتي "سُبْحَانَهُ" و "تَعَالَى" في النظم القرآني الحكيم، حيث تكمن أهمية الموضوع في استكشاف أوجه التلازم والاختلاف بين هاتين الصيغتين التَّنْزيهيتين، ويسعى البحثُ إلى تحليل مواطن اجتماعهما وافتراقهما في الآيات القرآنية، مع الوقوف على الدقائق البلاغيَّة والسِّياقية التي تميز استخدامَ كلٍّ منهما، فالتَّنْزيه في القرآن الكريم يحمل أبعادًا دقيقةً، ومعاني عميقةً تستحقُّ التمحيصَ والدراسةَ المتأنية.

**الدراسات السابقة، ووجه الإضافة:**

تناولتِ الدراساتُ البلاغيَّةُ القرآنيةُ عبر التاريخ العديدَ من الجوانب المتعلقة بإعجاز القرآن الكريم اللغويّ والبلاغيّ، حيثُ أفرد العلماءُ المسلمونُ مساحةً واسعةً لتحليل النظم القرآنيّ وجمالياته، وفيما يخصُّ صيغَ التَّنْزيه الإلهيّ مثل "سُبْحَانَهُ" و "تَعَالَى"، يمكن الإشارة إلى بعض الجهود السابقة التي تناولتها بشكلٍ عامٍّ أو ضمن سياقٍ أوسعَ.

ظهرت دراساتٌ جامعيَّةٌ وأطروحاتٌ تناولت جوانبَ من البلاغة القرآنية، لكنَّ التركيز على كلمتي "سُبْحَانَهُ" و "تَعَالَى" بوصفهما ظاهرةً بلاغيَّةً مستقلَّةً ظلَّ محدودًا، ومن هذه الدراسات السابقة:

– التسبيح في الكتاب والسنة والرد على المفاهيم الخاطئة فيه، د/ محمد بن إسحاق كندو، مكتبة دار المنهاج– الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ، وهو كتابٌ نصَّ مؤلِّفُهُ في مقدمته على دراسة ألفاظ الذكر المشروعة في الإسلام، وإبراز معانيها الصحيحة ودلالتها العظيمة بالأسلوب الذي ينتفع به المسلمون.

– التسبيح في أوائل سور القرآن الكريم أنواعه ودلالاته، د/ فهد بن متعب بن مبارك الدوسري، بحثٌ منشورٌ في مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم– جامعة المنيا،

عدد (٤٢)، مجلد (٢)، بتاريخ (٢٠٢٠م)، وهو يسلطُ الضوء على السور المفتتحة بالتسبيح فقط، وإبراز شيءٍ من دلالات التنوُّع في صيغ التسبيح فيها.

– التسبيح في القرآن الكريم دراسة موضوعيَّة، د/ رفيدة محمود شوقي عمر سرحان، بحثٌ منشورٌ في مجلة كلية البنات الأزهريَّة بالعاشر من رمضان– جامعة الأزهر، العدد التاسع– ديسمبر ٢٠٢٤م، وهو دراسةٌ تفسيريَّة سلطتْ الضوءَ على كيفيَّة تطبيق عبادة التسبيح من خلال الآيات القرآنية وإبرازها في قالبٍ تطبيقيٍّ، دون التركيز على لفظتيْ "سبحانه" و"تعالى".

– المسبِّحات في القرآن الكريم دراسة دلاليَّة بيانيَّة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم– جامعة الشرق الأوسط، إعداد/ مريم محمود مصطفى الشوبكي، ٢٠١٠– ٢٠١١م، وقد سلَّطت هذه الدراسةُ الضوءَ على تحليل مضمون سور المسبحات المستهلَّة بالتسبيح، وركَّزت على الناحيتين الدلاليَّة والبيانيَّة، وإيجاد علاقاتٍ مشتركةٍ بين هذه السور.

وغيرِ ذلكَ من الدراساتِ السابقة، وبشكلٍ عامٍّ، يمكن القول إنَّ الجهودَ السابقةَ تناولت هاتين الكلمتين ضمنَ إطارٍ أوسعَ يتعلق بصفاتِ الله أو النظمِ القرآنيّ، دون أن تُفرد لهما دراسةٌ متخصصةٌ تركِّزُ على اقتضاء اجتماعهما وافتراقهما من منظورٍ بلاغيٍّ دقيقٍ.

**وجه الإضافة:** تتميز هذه الدراسة بتقديم إضافةٍ نوعيَّةٍ للجهود السابقة، حيثُ تسعى إلى التركيز على كلمتي "سُبْحَانَهُ" و "تَعَالَى" بوصفهما وحدةً تحليليَّةً مستقلةً؛ مما يُضفي عليها طابعًا تخصصيًّا جديدًا، كما تقدِّم الدراسة تحليلًا منهجيًّا لحالات اجتماع الكلمتين في آيةٍ واحدةٍ وافتراقهما في آياتٍ مختلفةٍ، مع استنباط الدَّلالات البلاغيَّة

المرتبطة بكلِّ حالةٍ، وهو جانبٌ لم يُعطَ حقُّه من الدراسة سابقًا، وبذلك تُشكِّل هذه الدراسة إضافةً متميزةً تُعزِّز فهمَ الإعجازِ البلاغيِّ للقرآنِ الكريمِ، وتُسهم في تطوير الدراساتِ المتخصصةِ في هذا الحقلِ المعرفيِّ الغنيِّ.

**منهج البحث:**

يتناول البحثُ المنهجَ الاستقرائيَّ التحليليَّ، حيث يجمع الآياتِ التي وردت فيها هاتان الكلمتان، ويدرسها دراسةً بلاغيَّةً، مركزةً على رصد حالات اجتماعهما في آيةٍ واحدة، وحالات انفراد كلٍّ منهما، محللةً الفروق الدقيقة في المعنى والسِّياق، كما يولي هذا البحثُ اهتمامًا خاصًا بالسِّياقات المختلفة التي وردت فيها هاتان الكلمتان، مثل: مواقف التَّنْزيه والتقديس، وارتباطهما بصفات الله تَعَالَى وأفعاله سُبْحَانَهُ.

**خطة البحث:**

واقتضت طبيعةُ هذا البحث أن يكونَ في مقدمةٍ، وثلاثةِ مباحثَ، وخاتمةٍ.

**فالمقدمةُ** تضمنتْ أهميةَ موضوعِ البحثِ، وسببَ اختيارِهِ، وحدودَهُ ومشكلاتِهِ، والدراساتِ السابقةَ عليهِ، ومنهجَهُ، وخُطَّتَهُ.

**المبحث الأول: دراسة كلمة "سُبْحَانَهُ" ودلالاتها البلاغيَّة**، وفيه أربعة مطالب:

**المطلب الأول**: الدَّلالة اللُّغويَّة لمفردة "سُبْحَانَهُ" ومعانيها السِّياقية.

**المطلب الثاني**: البلاغة في "سُبْحَانَهُ"، ودلالتها على التَّنْزيه المطلق.

**المطلب الثالث**: سياقات "سُبْحَانَهُ" في القرآن الكريم.

**المطلب الرابع**: سياقات ورود "سُبْحَانَهُ" في التَّسْبيح والعبادة.

**المبحث الثاني: دراسة كلمة "تَعَالَى" ودلالاتها البلاغية**، وفيه أربعة مطالب:

**المطلب الأول**: الدَّلالة اللُّغويَّة لمفردة "تعالى" ومعانيها السِّياقية.

**المطلب الثاني**: الدلالات البلاغة لمفردة "تعالى".

**المطلب الثالث**: الدلالات السياقية لمفردة "تعالى" في القرآن الكريم.

**المطلب الرابع**: سياقات ورود "تعالى" في القرآن منفردة.

**المبحث الثالث: بلاغة اجتماع "سبحانه" و "تعالى" وافتراقهما في القرآن الكريم،** وفيه مطلبان:

**المطلب الأول**: الدقة البلاغية في افتراق "سبحانه" و"تعالى" في النص القرآني.

**المطلب الثاني**: الدلالة البلاغية لاجتماع "سبحانه وتعالى" في القرآن الكريم.

ثم الخاتمةُ: وتضمنتِ أهمَّ النتائجِ التي توصلتْ إليها الدراسةُ.

ثم ثبتُ المصادرِ والمراجعِ.

هذا وبالله التوفيقُ، وصلى الله – تعالى– وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

****

## المبحث الأول

## دراسة كلمة "سُبْحَانَهُ" ودلالاتها البلاغيَّة

### المطلب الأول

### الدَّلالة اللُّغويَّة لمفردة "سُبْحَانَهُ" ومعانيها السِّياقية

كلمة "سُبْحَانَهُ" من الكلمات التي يتكرَّر ذكرها في القرآن الكريم بشكلٍ لافتٍ، حيث تُستخدم في سياقاتٍ عديدةٍ؛ لتأكيد تنزيه الله عن النقائص والعيوب، وهي كلمةٌ تفتح أمامنا آفاقًا واسعةً من الدَّلالات البلاغيَّة، وتعكس سموَّ الله وعظمتَه في القرآن الكريم، في إطار التعبير عن تنزيهِ الله عن التشبيهِ والنقصِ، فلا تقتصرُ الدَّلالة اللُّغويَّة لكلمة "سُبْحَانَهُ" على المعنى الظاهر، بل تحمل في طيَّاتِها دلالاتٍ متعددةً، تجعلُها أحدَ العناصر البلاغيَّة المهمَّة في القرآن الكريم.

**الجذر اللغوي لكلمة "سُبْحَانَهُ":**

**"سُبْحَانَ"** كلمةٌ شائعةٌ متداولةٌ، تتنوع دلالاتُها اللُّغويَّةُ المستمدَّةُ من جذرها الأصليّ **"س ب ح"**، وتتجلَّى هذه الدَّلالات في الإشارة إلى الحركةِ السريعةِ في الماءِ والهواءِ، مشبعةً بمعاني (السُّرعة، والخِفَّة، والامتداد، والخلوّ، والكثرة)، وقد استُعملت هذه الكلمة للتعبير عن انسيابِ النجوم في أفلاكها، وركْضِ الخيْلِ، والسُّرعةِ في أداء الأعمال، ومن ثمَّ أُعيد توظيفُها لتشملَ ميادينَ العباداتِ وفعلَ الخيراتِ، سواءٌ بالقولِ أو الفعلِ، متضمنةً رفعَ الصوتِ بالذِّكرِ، والدُّعاءِ، والتَّنْزيهِ، والتَّقْديسِ، والتَّعظيمِ، حيث يرتبطُ هذا الجذرُ بالمعاني التي تدلُّ على البراءةِ من العيوبِ والنقائص، وهو تعبيرٌ عن البراءة والطهر، و

"التَّسْبيح" بمعنى "التَّنْزيه"، وبناءً على ذلك، يكون معنى كلمة "سُبْحَانَهُ" هو "تنزيه الله عن أيِّ نقصٍ أو عيبٍ"، وتأكيد "طهارته" من كل ما يُشبه المخلوقات(١)

يُقال: "سَبَحَ الفتى سِباحةً" إذا عَامَ في الماء، و "سَبَحَ الفرسُ" إذا انبسط في جريه ومدِّ يديه، فيُوصَف حينها بأنه سابحٌ أو سبوحٌ، ويُقال: "سَبَحَتِ النُّجومُ" بمعنى: جَرَت في أفلاكها، كما في قوله تَعَالَى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ﴾ [لأنبياء: ٣٣]، وقد ورد أن **"السَّبْح"** يدل على البُعد، فتقول العرب: "سُبْحَانَ مِنْ كَذَا" أي: ما أبعده من كذا، ومثله "سَبَحَ اليربوعُ في الأرض" إذا حفر فيها فأبعد، كما قيل إن **"السَّبْح"** قد يُراد به الفراغ، وهو ما جاء في قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا﴾ [المزمل:٧]، أي: فراغًا للنوم أو لقضاء الحوائج، والتنقل ذهابًا وإيابًا لما يقتضيه السعيُ للمعاش، ومن معانيه الكثرة، فيُقال: "سَبَحَ الرجلُ في الكلامِ" إذا أكثر منه، كما ذُكر أنَّ

---

(١) ينظر: المحيط في اللغة، للصَّاحب بن عباد (٣٢٦– ٣٨٥هـ)، تحقيق الشيخ: محمد حسن آل ياسين، ط١، عالم الكتب– بيروت، ١٤١٤هـ– ١٩٩٤م، باب الحاء والسين، مادة(س ب ح)، مجمل اللغة، لابن فارس القزويني الرازي، أبي الحسين (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، ط٢، مؤسسة الرسالة– بيروت، ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م، باب السين والباء وما يثلثهما، المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالرَّاغب الأصفهانيّ (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية– دمشق بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، صـ٢٩٢–٢٩٣. لسان العرب، لابن منظور محمد بن مكرم جمال الدين الأنصاريّ، طبعة دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة عشرة، د.ت، مادة (س ب ح)، تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الحسيني الزبيديّ، تحقيق: جماعة من المختصّين، من إصدارات وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، ١٤٢٢هـ– ٢٠٠١م، مادة (س ب ح).

لفظة "سُبْحَانَ" مشتقةٌ من قولهم: "سَبَحَ الرجل" إذا رفع صوتَه بالدعاء والذكر، كما قال "جرير" في هجاء بني تغلب(١):

قَبَحَ الإلهُ وُجُوهَ تَغْلِبَ كُلَّمَا ∴ سَبَحَ الْحَجِيجُ وَكَبَّرُوا إهْلَالَا

أمَّا "سَبَّحَ" بالتشديد فتدور معانيه حول: الذكر، والتقديس، والتعظيم دون غيرها(٢)، يُقال: "سَبَّحَ فلانٌ" إذا صلَّى أو لجأ إلى الصلاة(٣)، كما في قوله تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصافات: ١٤٣]. ويُقال: "سَبَّحَ فلانٌ اللهَ" بمعنى قَدَّسَهُ ونَزَّهَهُ عن كلِّ نقصٍ ومَجَّدَه. ويُقال أيضًا: "سَبَّحَ الرجلُ" إذا قال: "سُبْحَانَ الله"، وهي كلمةٌ تدلُّ على السرعة في طاعة الله والخفَّة في الانقياد له(٤)، وَيَكُونُ "سُبْحَانَ" بِمَعْنَى التَّعَجُّبِ كما ذكره البغوي(٥).

وقد ثار جدلٌ بين اللُّغويّين حول اشتقاق فعلٍ من لفظ "سُبْحَان"، فذهب فريقٌ إلى أنَّ "سُبْحَان" مصدرٌ متروكُ الفعل، أي لم يُستعمل فعلُهُ، وقد تبنَّى هذا الرأيَ سيبويهُ،

---

(١) البيتُ لجرير في ديوانه، من قصيدةٍ مطلعُها:

حَيِّ الغَداةَ بِرامَةَ الأَطْلالا ∴ رَسْمًا تَحَمَّلَ أَهلُهُ فَأَحَالَا

والرواية فيه (شَبَحَ) بدلًا من (سَبَحَ) بمعنى: رفعوا أيديهم بالدعاء. ديوان جرير، تحقيق: كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر– بيروت، ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م، صـ٣٦٠، ٣٦١. وفي تاج العروس: سَبَحَ: بمعنى رفعوا صوتهم بالدعاء.

(٢) لسان العرب: (س ب ح)، تاج العروس: (س ب ح).

(٣) المحيط في اللغة، باب الحاء والسين.

(٤) لسان العرب، (س ب ح)، والمحيط، باب الحاء والسين.

(٥) معالم التنزيل، البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت ٥١٦هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ. ج ٥، صـ ٥٧.

حيث قال: "سُبْحَانَ اللهِ" منصوبٌ بإضمار فعلٍ متروكٍ إظهارُهُ، فكأنه قال: "أُسبِّح الله تسبيحًا"[١]، وقال المبرد: "سُبْحَان مصدرٌ غيرُ متصرفٍ، وليس منه فعلٌ"[٢]، ووافقهم ابن سِيدَه قائلًا: "سبحان مصدرُ فعلٍ لا يُستعمل"[٣]، وأضاف أنَّ "سبَّحَ يُسَبِّح" ورد بعد أن أُشيع استعمال "سُبْحَان"، ومعنى سبَّح زيدٌ؛ قال "سُبْحَانَ اللهِ"[٤]، ومن أبرز القائلين بهذا الرأي ابنُ عطيَّة الذي عدَّ "سُبْحَان" مصدرًا غيرَ متمكنٍ، والعاملُ فيه فعلٌ من معناه لا من لفظه؛ إذ لم يجرِ من لفظه فعلٌ[٥]، واعتبر الكرمانيُّ أنَّ "سُبْحَانك" مصدرٌ

---

(١) كتاب سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، (ت١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، ١/ ٣٢٢.

(٢) المقتضب، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر، أبو العباس، المعروف بالمبرد (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب– بيروت، ١٤٣١هـ، ٣/ ٢١٧.

(٣) المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سِيدَه المرسي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط١، ١٤١٧هـ– ١٩٩٦م، ١٧/ ١٦٣.

(٤) السابق ذاته.

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام ابن عطية الأندلسي المحاربي (ت٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية– بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ٣/ ٤٣٥.

أُمِيتَ فعلُهُ[١]، وقال ابنُ يعيش: "سُبْحَان" وهو عَلَمٌ عندنا واقعٌ على معنى التَّسْبيح، وهو مصدرٌ...، وليس منه فعلٌ[٢].

وذهب آخرون إلى إثباتِ فعلٍ مشتقٍّ من "سُبْحَان"، قال الزجاج: "سُبْحَان منصوبٌ على المصدر، والمعنى: أُسبِّح الله تسبيحًا"[٣]، وذكر العكبريُّ أنَّ "سُبْحَان اسمٌ واقعٌ موقعَ المصدرِ، وقد اشتقَّ منه سَبَّحت والتَّسْبيح[٤]"، وذكر الكرماني بعد أنْ أشار إلى القول الأول: "وقيل: هو اسمٌ من "سبَّح"، والتَّسْبيح مصدره، وسُبْحَان نصب على المصدر"[٥].

---

(١) غرائب التفسير وعجائب التأويل، تاج القُرَّاء محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني (ت نحو ٥٠٥هـ)، دار القبلة للثقافة الإسلامية- جدة، مؤسسة علوم القرآن- بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ١/ ١٣٢. ويُنظر: الإتقان في علوم القرآن، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، المملكة العربية السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د.ت، ٣/ ١١١١.

(٢) شرح المفصل للزمخشري، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (ت ٦٤٣هـ)، تقديم: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢ هـ- ٢٠٠١م، ١/ ٣٧.

(٣) معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، ٣/ ٢٢٥.

(٤) التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت٦١٦هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٧٦م،١/ ٤٩.

(٥) غرائب التفسير وعجائب التأويل، ١/ ٦١٩.

والظاهر «أنَّه غيرُ علمٍ، وأنَّ معنى "سبحانَ": تنزيهًا لله عن كلِّ ما لا يليق به...، ومن الأدلَّةِ على أنَّه غيرُ علمٍ ملازمتُهُ للإضافة، والأعلامُ تقلُّ إضافتُها»(١).

والقولُ بأنه قد اشتق منه فعلٌ أظهرُ، وأيَّدَ هذا القولَ ابنُ سِيدَه في روايةٍ عن "سَبَحَ" مخفَّفًا بمعنى نَزَّهَ، وقال في "المخصص": "حكى صاحبُ العين: سَبَحَ في سبَّح"(٢)، وذكر ابنُ عاشور أنه قد سُمع "سَبَحَ" مخففًا بمعنى نزَّه"(٣)، وأورد الفيروزآبادي أنَّ "سَبَحَ" بمعنى "سُبْحَان"(٤)، وهو ما أشار إليه الزَّبيديُّ بقوله: "سَبَحَ مخفَّفًا كشَكَرَ شُكْرَانًا"(٥).

وبناءً على هذا، فإنَّ القولَ بوجود فعلٍ مشتقٍّ من "سُبْحَان" يبدو أظهر؛ لأنَّ ورود لغة محكيَّةٍ تُثبتُ استعماله بمعنى التَّنْزيه والتعظيم، يقول ابنُ فارسٍ: "العرب تقول: سبحان من كذا؛ أي ما أبعده"(٦)، قال الأعشى:

**أَقـولُ لَمّا جاءَنـي فَخْـرُهُ ∴ سُبْحانَ مِنْ عَلْقَمَةَ الفاخِرِ**

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للعلامة محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ)، دار عالم الفوائد– جدة، ط١، ١٤٢٦هـ، ٣/ ٤٧٤.

(٢) المخصص، ١٧/ ١٦٣، وما وقفتُ عليه في كتاب العين: «قوله عز وجل: ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا﴾ [المزمل: ٧] أي فراغًا للنوم عن أبي الدُّقَيْش»، ولم أقف على نصٍّ صريحٍ له بهذا الشأن، كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ت،٣/ ١٥١.

(٣) تفسير التحرير والتنوير، ١/ ٤.

(٤) القاموس المحيط، (س ب ح).

(٥) تاج العروس، (س ب ح).

(٦) مقاييس اللغة، مادة (س ب ح).

قال قومٌ: تأويله عجبًا له إذا يفخر، وهو قريبٌ من ذلك؛ لأنه تبعيدٌ له من الفخر[١]، ومنه قول النبيّ ﷺ: «سُبْحَانَ اللهِ! إنَّ المؤْمِنَ لا يَنْجُسُ»[٢]، فـ(سُبْحَانَ اللهِ) بلفظها ومعناها للدعاء والعبادة، ومعناها: تنزيهه -سُبْحَانَهُ وتَعَالَى- عن العيب والنقص والأوهام الفاسدة، والظنون الكاذبة، ثم استخدمت في التعجُّب على غير الأصل، ومنه قول الشاعر:

**لَمَّا تبَدَّتْ مِنَ الْأَسْتَارِ قُلْتُ لَهَا ∴ سُبْحَانَ سُبْحَانَ رَبِّي خَالِقِ الصُّوَرِ**[٣]

والواقع استعمال فعل "سُبْحَانَ" في مصادر اللغة، وقد ذُكِرَ مُتكررًا في ثنايا النصِّ القرآني بكافةِ صيغِه (سَبَّحَ، ونُسَبِّحُ، وسَبِّحْ ماضيًا ومضارعًا وأمرًا)[٤].

---

(١) السابق ذاته.

(٢) متفقٌ عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الغسل، باب (عَرَقُ الجُنُبِ، وأنَّ المُسْلِمَ لا ينْجُسُ)، حديث رقم (٢٨٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب (الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الْمُسْلِمَ لَا يَنْجُسُ)، حديث رقم(٣٧١)، عن أبي هريرة رضي الله عنهُ.

(٣) ورد هكذا في الأمالي: "وأنشدنا أبو بكر بن الأنباريّ -رحمه الله- قال: أنشدنا أبي: لَمَّا تبَدَّتْ مِنَ الْأَسْتَارِ...". الأمالي، لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (ت ٣٥٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، طبعة ٢٠١٠م، ١/ ٢٠٣.

(٤) وذلك كما ورد في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾، وسورة الحجر ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾﴾، وسورة الحديد ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾.

وخلاصة القول: إن الدَّلالات اللُّغويَّة لمادة "سَبَحَ" في سياق البحث تتضمن المعاني الآتية:

١- التَّنْزيه المطلق: وهو إبعاد الله -سُبْحَانَهُ وتَعَالَى- عن أيِّ عيبٍ أو نقصٍ، كما في قولنا: "سبحان الله"؛ أي: تنزيه الله عن كل ما لا يليق بجلاله وعظمته.

٢- الحركة والانطلاق في الماء: فقولهم: "سبَحَ في الماء" يدل على السِّباحة والحركة، ويشير ذلك إلى مفهوم الاتِّساع والحركة المتواصلة في التَّسْبيح، وكأن المتكلِّمَ يتحرَّك بعقله وقلبه نحو إدراك عظمةِ الله.

٣- الثبات والاستمرار على تنزيه الله وتقديسه: فكلمة "سُبْحان" تحمل في طيَّاتها دلالاتٍ على كون هذا التَّنْزيه ليس عابرًا، بل هو مستمرٌّ وثابتٌ، يتكرر مع كلِّ موقفٍ من مواقف الحياة.

٤- التعجب والتقدير: ففي بعض السِّياقات يحمل "سُبْحَان" معنى التعجُّب من شيءٍ عظيمٍ، فيدلُّ على شعورٍ بالتقدير والإعجاب بعظمة الله وجلاله.

**الفرق بين كلمة "سبحان" والكلمات المرادفة:**

تتميز اللغة العربية بثرائها ودقتها في التعبير، مما يجعل لكلِّ كلمةٍ استخدامَها الخاصَّ الذي يُضفي على النصوص جمالًا ودقَّةً في المعنى، ومن بين الكلمات التي تنفرد بخصائصها البلاغيَّة واللُّغويَّة كلمة **"سُبْحَانَ"**، التي جاءت في القرآن الكريم لتعبِّر عن تنزيه الله - عزَّ وجلَّ- من كلِّ نقصٍ وعيبٍ، وقد وردت كلمة **"سُبْحَانَ"** في مواضعَ متعددةٍ من القرآن الكريم، منها قوله تَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١]، حيث تشير إلى "تَنْزِيهِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ كُلِّ سُوءٍ، وَوَصْفِهِ بِالْبَرَاءَةِ مَنْ كُلِّ نَقْصٍ عَلَى طَرِيقِ

الْمُبَالَغَةِ"[1]، أو لإنكار أيّ وصفٍ لا يليق بالله -عزَّ وجلَّ- مثل قوله تَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[الصافات: ١٥٩].

وعلى الرُّغم من أنَّ هناك بعضَ الكلمات المرادفة مثل "تَنَزَّه" و "قُدُّوسٌ"، والتي تحمل دلالاتٍ تعبيريَّةً تُبرز صفاتِ الله وتنزُّهَهُ عن كلِّ نقصٍ أو عيبٍ، ومع أنَّ هاتين الكلمتين تبدوان متشابهتين في المعنى؛ إلا أنَّ القرآن الكريم اختار التعبير بـ **"سُبْحَانَهُ"** على نحوٍ أوسعَ، مما يثير التساؤل عن الفروق البلاغيَّة والسِّياقيَّة بينهما، والواضح في أقوال المفسرين وعلماء اللغة أنَّ كلمة **"سُبْحَانَ"** تحمل عددًا من المعاني، فـ "التَّسْبيح عَلى المِشْهُورِ تَنْزِيهُ اللَّهِ تَعَالَى اعْتِقادًا وقَوْلًا وعَمَلًا عَمَّا لا يَلِيقُ بِجَنابِهِ -سُبْحَانَهُ-، مِن سَبَحَ في الأرْضِ والماءِ إذا ذَهَبَ وأبْعَدَ فِيهِما"[2]، وَ"سُبْحَانَ مَصْدَرٌ لَا تَصَرُّفَ لَهُ، وَمَعْنَاهُ: نُسَبِّحُكَ، كَأَنَّهُمْ قَالُوا: نُسَبِّحُكَ تَسْبِيحًا، وَنُنَزِّهُكَ تَنْزِيهًا"[3]، ويوضِّح الرَّازِي أنَّ "سُبْحَانَ اللَّهِ مَعْنَاهُ التَّنْزِيهُ لِلَّهِ، وَهُوَ نَصْبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ، كَأَنَّهُ قَالَ: أُبَرِّئُ اللَّهَ مِنْ كُلِّ سُوءٍ بَرَاءَةً"[4]، ويؤكِّد ابنُ عاشور على معنى التعجُّب فيقول: "فَإِنَّ جُمْلَةَ التَّسْبيح في الكَلامِ الَّذِي لَمْ يَقَعْ فِيهِ ما يُوهِمُ تَشْبِيهًا أوْ تَنْقِيصًا لا يَلِيقانِ بِجَلالِ اللَّهِ تَعَالَى مِثْلُ

---

(١) معالم التنزيل، البغوي، ٥/ ٥٥.

(٢) تفسير الألوسي، ١٤/ ١٦٥.

(٣) جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري: جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر- مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ- ٢٠٠١م، ١/ ٥٢٨.

(٤) مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت- صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، صـ١٤٠.

﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٨٠] يَتَعَيَّنُ أنْ تَكُونَ مُسْتَعْمَلَةً في أكْثَرَ مِنَ التَّنْوِيهِ، وذَلِكَ هو التَّعْجِيبُ مِنَ الخَبَرِ المُتَحَدَّثِ بِهِ"(١).

أما كلمة "تَنَزَّه" وصفًا لله –عزَّ وجلَّ– فتأتي بمعنى الابتعاد عن العيوب والنقائص، فـ"النون والزاء والهاء" كلمةٌ تدل على بُعْدٍ في مكانٍ وغيره، ورجلٌ نزيهُ الخُلُقِ: بعيدٌ عن المطامع الدَّنيَّةِ(٢)، والتَّنَزُّهُ: أن يرفَعَ نفسَهُ عن الشَّيْءِ تكرُّمًا، ورغبةً عنه"(٣).

وتنزيهُ الله: تسبيحُهُ، وهو تبرئتُه عن قول المشركين، وتقديسُهُ عن الأنداد، والأضداد... يقال: هم قومٌ أنزاهٌ؛ أي: يتنزَّهُونَ عن الحرام، الواحدُ نزيهٌ... ورجل نَزِهٌ وَنَزِيهٌ: وَرِعٌ، وفُلَانٌ يتنزَّهُ عن مَلَائِمِ الأخلاقِ؛ أي: يترفَّعُ عمَّا يُذَمُّ منها(٤).

و"تنزّه" فعلٌ ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، من باب "تفعَّل"، وهو يدلُّ على حدثٍ وقع أو حالةٍ تحققتْ، مع إفادة التشديد للدلالة على التأكيد أو المبالغة في التَّنْزيه، لكنها تختلف عن **"سُبْحَانَ"** من حيث الصياغة البلاغيَّة، فـ "تَنَزَّهَ" فعلٌ، بينما **"سُبْحَانَ"** مصدرٌ يُضفي على المعنى استمراريَّةً وديمومةً، مما يعبر عن التَّنْزيه المطلق الذي يليق بالله وحده، بينما "تنزَّه" قد تُستخدم في سياقاتٍ بشريةٍ أو دنيويَّةٍ، وفي استخدام **"سُبْحَانَهُ"** تعبيرٌ عن ثبات التَّنْزيه واستمراريَّته، بينما "تَنَزَّهَ" قد يُوحي بالتغيُّر أو الحدث العارض،

---

**(١) التحرير والتنوير، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر– تونس، ١٩٨٤هـ، ١٥/ ١٠.**

**(٢) معجم مقاييس اللغة، مادة (ن ز هـ).**

**(٣) لسان العرب، مادة (ن ز هـ).**

**(٤) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ٩٢/٦.**

و"**سُبْحَانَهُ**" تأتي من جذرٍ يرتبط بالسموّ والعلوّ المطلق، بينما "تَنَزَّهَ" تأتي من جذرٍ يُركّزُ على الطَّهارة والابتعادِ عن العيب، وكذلك "**سُبْحَانَهُ**" تحمل طابَعًا تعبُّديًّا وتعجبيًّا، بينما "تَنَزَّهَ" تحمل طابعًا وصفيًّا، إضافةً إلى أنَّ "**سُبْحَانَ**" أصبحت مصطلحًا قرآنيًّا مقدسًا مرتبطًا بتنزيه الله، بينما "تَنَزَّهَ" لا تحمل هذا البعدَ المقدَّسَ، فـ "**سُبْحَانَهُ**" تُستخدم فعليًّا في القرآن كأداةٍ بلاغيَّةٍ للتسبيحِ والتَّنْزيه معًا، بينما "تَنَزَّهَ" -رغم دلالتها اللُّغويَّة القويَّة- لم تُوظَّفْ في النصِّ القرآنيّ، مما يُظهر اختيار القرآن لـ"**سُبْحَانَهُ**"؛ لشموليتها وأثرِها البلاغيّ.

أما كلمة "قُدُّوسُ" فهي تشير إلى الطَّهارةِ والتَّنْزيه، أي تنزيه أفعاله -تَعَالَى- عن صفة الذمّ، ونعت السَّفه، لكنَّها تُستخدم غالبًا في وصفِ ذاتِ الله وصفاتِه، كما في قوله تَعَالَى: ﴿ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ﴾[الحشر: ٢٣]، والتَّقديس: التَّطهير والتَّبريك، وتقدَّس أي: تطهَّر، وفي التّنزيل ﴿وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ﴾ [البقرة: ٣٠]،«أي ننسبُكَ إلى الطَّهَارةِ ونُقدِّسُكَ ونقدِّسُ لكَ، ونُسَبِّحُكَ ونُسَبِّحُ لكَ بمعنًى واحدٍ»[(١)]، أمَّا "**سُبْحَانَ**" فتستخدم كتعليقٍ تعبُّديٍ وتنزيهيّ عمَّا لا ينبغي، وهو إشارةٌ إلى كونه تَعَالَى كاملًا في ذاته، فقد عرَّفه الجرجانيُّ بأنّه: «تنزيه الحقِّ عن نقائض الإمكان والحدوث»[(٢)].

والحاصل أنَّ علماء اللغة لا يكادون يفرِّقُون بين التَّسْبيح والتَّقْديس؛ لأنهما يرجعان في الأصل إلى معنًى واحدٍ، وهو تَبْعِيدُ (تَنْزِيهُ) الله -جلَّ وعلا- عمَّا لا يليق بجلاله

---

(١) **اشتقاق أسماء الله، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (ت ٣٣٧هـ)، تحقيق: د. عبد الحسين المبارك، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م، صـ٢١٤.**

(٢) **التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، صـ ٥٧.**

وكماله، ومن الفروق بينهما أنَّ التَّسْبيحَ لا يُستعمل إلا في حقِّ الله – تَعَالَى–، بخلاف التَّقْديسِ، فإنَّهُ يُستعمل في حقِّ الآدميِّينَ، فيُقال: فلانٌ رجلٌ مقدَّسٌ: إذا أُريدَ تبعيدُهُ عن مُسْقِطاتِ العدالة، ووصفه بالخير، وقد يُستعمل التَّقْدِيسُ في غير ذوي العقول أيضًا، ومن ذلك قوله – تَعَالَى–: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ﴾ [المائدة: ٢١]، وتعني المطَهَّرَة أو المبَارَكَة.

والحاصل كذلك أنَّ كلمة "**سُبْحَانَ**" تمتاز بخِفَّتِها على اللسان وعُمْقِها في المعنى، فهي تُستخدم لتعظيم الله بأسلوبٍ يوحي بالتجرُّد والتَّنْزيه المطْلق، كما في قوله تَعَالَى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٥٩]، وتحمل في طيَّاتِها الاستمراريَّة والديمومة؛ لكونها مصدرًا يجعل المعنى مستمرًّا ودائمًا، وتنفرد كلمة "**سُبْحَانَ**" –كذلك– بإيجاز المعنى؛ حيث تحمل في تركيبها الموجز تنزيهًا عظيمًا لله، وإعلانًا مطلقًا لتنزُّهِهِ عن النَّقْصِ، وكذلك فإنَّ صوتيَّات الكلمة (السين والباء والحاء) تشترك في اللِّين والتَّتابُع السَّريع؛ وذلك لما يتميَّزُ به حرفُ السينِ في أوَّل المصادرِ (بخاصيَّةِ التحرُّكِ والطَّلَبِ والبَسْطِ، والمسيرِ بما يتوافق مع خاصيَّةِ الانزلاقِ في صوتِهِ)[١]، وكذلك حرف الباء الذي يدلُّ على (الانْبِثَاقِ والانْفِرَاجِ والاتِّسَاعِ والشَّقِّ)[٢]، وما يدلُّ عليه حرف الحاء من (معاني الرقة والصفاء والنقاء والكياسة، بما يتوافق مع صوت الحاء مرققًا مرخمًا)[٣]؛ مما يجعل الكلمةَ خفيفةً على اللسان ومؤثرةً في الأذن، وتحمل بين جوانحها شموليَّة التَّنْزيهِ

---

(١) **خصائص الحروف العربية ومعانيها– دراسة–، حسن عباس، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٨م، صـ١٠٩، ١١١.**

(٢) **السابق، صـ١٠١.**

(٣) **السابق، صـ١٨٦.**

عن كلِّ نقصٍ دون تخصيصٍ، وهذا ما يجعلُها مختلفةً عن الكلماتِ المرادفةِ التي قد تحمل معاني جزئيَّةً أو محدَّدةً، واستخدامها في القرآن الكريم يُبرز مدى الإعجاز البلاغيّ والدلاليّ الذي يعكس تفرُّدَ الكلمةِ وعظمَ دلالتِها.

*****

## المطلب الثاني

## البلاغة في "سُبْحَانَهُ" ودلالتها على التَّنْزيه المطلق لله عزَّ وجلَّ

تُعدُّ كلمة **"سُبْحَانَهُ"** من الكلمات القرآنيَّة التي تحمل في طيَّاتها دلالاتٍ بلاغيَّةً عميقةً، وتُظهر روعة البيان القرآني في التأكيد على تنزيه الله – تَعَالَى- عن كلِّ نقصٍ أو شريكٍ، فهي ليست مجردَ لفظةٍ عابرةٍ، بل هي تعبيرٌ عن تنزيهٍ مطلقٍ، وتقديسٍ تامٍّ للذَّات الإلهيّة، يتجاوز حدودَ العقلِ البشريّ وإدراكَهُ المحدودَ، فكلمة "سُبْحَانَهُ" مشتقَّةٌ من الفعل "سَبَّحَ"، الذي يعني التَّنْزيه والتقديس، وهو إبعادُ الله – تَعَالَى- عن كلِّ ما لا يليق بجلاله وكماله، أو كما قال القرطبي: "ومعناه التَّنْزيه والبراءة لله -عزَّ وجلَّ- من كلِّ نقصٍ، فهو ذكرٌ عظيمٌ لله تَعَالَى لا يصلح لغيرِهِ"[1]، فالتَّسْبيحُ هو تنزيهُ اللهِ عن النَّقائصِ والعيوبِ، وإثباتُ الكمالِ المطلَقِ له. وتأتي كلمةُ "سُبْحَانَهُ" كتعبيرٍ عن التعجُّبِ والتفخيمِ، وكأنَّها تُعلنُ أنَّ الله – تَعَالَى- مُنَزَّهٌ عن كلِّ ما يُتصوَّر أو يُتخيَّل من نقصٍ.

وتتجلى بلاغة كلمة **"سُبْحَانَهُ"** في عدة جوانب، هي:

---

**(١) تفسير القرطبي= الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي(٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية- القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م، ١٠/ ٢٠٤.**

١. **الإيجاز والاختصار**: فمن خلال الإيجاز، استطاع القرآنُ أن يُعبِّر عن معانٍ عظيمةٍ بكلماتٍ قليلةٍ؛ مما يجعل العبارةَ قويَّةَ التأثيرِ، سهلةَ الحفظِ، وعميقةَ الدَّلالةِ، و «الإيجازُ مِن مُعْظم ما يُوجِبُ لِلَّفظِ الفصاحةَ»[١]، وكلمة "سُبْحَانَهُ" تعدُّ مثالًا رائعًا على هذا الإيجاز، حيث تُعبِّرُ عن تنزيهِ الله – تَعَالَى- بكلمةٍ واحدةٍ تحمل في طيَّاتها معنًى واسعًا وعميقًا، فهي تُغني عن شرحٍ طويلٍ لتنزيه الله – تَعَالَى-، ففي قوله –عزَّ وجلَّ-: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾ [الإسراء: ١]، تأتي كلمة "سُبْحَانَهُ" لتؤكدَ أنَّ هذا الإسراء المعجزة هو من قدرة الله الذي لا يعجزه شيءٌ، وهو مُنَزَّهٌ عن قيود الزمان والمكان.

٢. **تعظيم ذات الله**: فكلمة "سُبْحَانَهُ" تحمل في طيَّاتها تعظيمًا لله تَعَالَى، وهي ليست مجردَ تنزيهٍ، بل هي إعلاءٌ لشأنه وتفخيمٌ لذاته، ففي قوله تَعَالَى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الطور: ٤٣]، نجد أنَّها تُستخدم لتعظيمِ الله وتنزيهِهِ عن الشِّرْك؛ مما يُظهِرُ عظمةَ الله، وصِغَرَ كلِّ ما يُعبد من دونه.

٣. **التأكيد على التَّنْزيه المطلق**: كلمة "سُبْحَانَهُ" تُستخدم غالبًا في المواضع التي يُذكر فيها شيءٌ من أفعال الله العظيمة أو صفاته الجليلة؛ لتؤكد أنَّ الله – تَعَالَى- مُنَزَّهٌ عن كلِّ ما يُخالف كمالَه، ففي قوله تَعَالَى: ﴿سُبۡحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا

---

[١] **دلائل الإعجاز، للإمام عبد القاهر الجرجانيّ(ت٤٧١هـ)، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٥، ٢٠٠٤م، ٤٦٠.**

﴿يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٨٠]، نجد أنَّ الكلمة جاءت ردًّا على ما يُنسب إلى الله من أوصافٍ باطلةٍ؛ لتؤكد تنزيهَه عن كلِّ وصفٍ لا يليق بجلاله.

إنَّ من بلاغة "سُبْحَانَهُ" التأكيد على التَّنْزيه المطلق لله – تَعَالَى–، وهو أحد أبرز جوانب العقيدة الإسلامية، وقد جاء القرآنُ الكريمُ ليؤكدَ هذا المعنى بأسلوبٍ بلاغيٍّ فريدٍ، فالتَّنْزيهُ ليس مجردَ نفيٍ للنقائص، بل هو إثباتٌ للكمال المطلق، وكلمة "سُبْحَانَهُ" في القرآن تأتي كأداةٍ للمبالغةِ في التَّنْزيه، حيث تؤكد على أنَّ الله لا يمكن أن يشبهه شيءٌ، كما أنَّ تكرار هذه الكلمة في القرآن الكريم يُعطي التأكيدَ القويَّ على تنزيهِ الله عن أيِّ نقصٍ، وهي لا تعني فقط التَّنْزيه، بل تعني تأكيدَ هذا التَّنْزيهِ بشكلٍ قويٍّ، بحيث يُرفع اللهُ –جلَّ وعلا– عن كلِّ وصفٍ قد يُقدَّر له من قبل البشر، ومن هنا نجدُ أنَّ كلمة "سُبْحَانَهُ" تُستخدم في القرآنِ لتأكيدِ هذا التَّنْزيهِ بطريقةٍ تُلامس القلبَ والعقلَ معًا.

**ومن أبرز مدارات هذا التَّنْزيه:**

- **التَّنْزيه عن التشبيه:** فإنَّ الله –عزَّ وجلَّ– ليس كمثله شيءٌ، وكلمة "سُبْحَانَهُ" تُستخدم لقطعِ أيِّ تشبيهٍ بين الخالق والمخلوق، ففي قوله – تَعَالَى–: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٦]، نجد أنَّ الكلمةَ تُذكِّر بأنَّ الله هو الخالق الذي لا يُشبهُ شيءٌ في خلقِهِ.

- **التَّنْزيه عن النقائص:** فاللَّهُ – تَعَالَى– مُنَزَّهٌ عن كلِّ نقصٍ، سواءٌ في ذاته أو في صفاته أو في أفعاله، وكلمة "سُبْحَانَهُ" تُستخدم لتأكيد هذا المعنى، كما في قوله – تَعَالَى–: ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾

[الزخرف: ٨٢]، حيث تُنَزِّه اللهَ عن كلِّ ما يُنسب إليه من أوصافٍ لا تليق بجلاله، (مثل نسبةِ بعضِ الجُهَّالِ الولد والوالد والصَّاحبة إلى الله -تعالى- وافتراء بعضهم الشريكَ والظهيرَ مع الله -تعالى-، أو الشفيعَ بغيرِ إذنِهِ، أو الوليَّ من دونِهِ...، وهذه اعتقاداتٌ باطلةٌ لا حقيقةَ لها، ولا تليقُ بكمالِ اللهِ ووحدانيَّتِه، بل اللهُ -تعالى- منزَّهٌ عن هذه الافتراءات كلِّها)[١]، وقد رُوِي عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ تَفْسِيرِ "سُبْحَانَ اللَّهِ"، قَالَ: «هُوَ تَنْزِيهُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ سُوءٍ»[٢].

- **التَّنْزيه عن الشرك**: فاللَّهُ – تَعَالَى- مُنَزَّهٌ عن أن يكون له شريكٌ في المِلك أو العبادة، وكلمة "سُبْحَانَهُ" تُستخدم لتأكيدِ هذا المعنى، كما في قوله – تَعَالَى-: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [النحل: ١]، حيث تُؤَكِّدُ أنَّ الله – تَعَالَى- أعلى وأجلُّ من أن يكون له شريكٌ.

- **الرَّفع من قدر الله جلَّ شأنُه**: من خلال كلمة "سُبْحَانَهُ"، يتمُّ الرفعُ من قدر الله بشكلٍ كبيرٍ، فالكلمة لا تقتصر على المعنى الحرفيّ للتَّنزيهِ، بل تعكس في مضامينها علوَّ مكانةِ الله وجلاله، إذ يُدرك السامعُ من تكرار هذه الكلمة في السِّياقات القرآنيَّة أنَّ اللهَ عالي المكانة، وأنَّه فوق تصوُّر البشر، فهي لا تقتصرُ على التَّنْزيه، بل تُستخدم أيضًا للتأكيد على "السموِّ" و"العظمة"، بل وتعدُّ من الأساليب البلاغيَّة التي تتكرَّر بقوةٍ في القرآن؛ مما يعكس "رفع الله" عن أيِّ شيءٍ قد يُشبهه.

---

**(١) التسبيح في الكتاب والسنة والرد على المفاهيم الخاطئة فيه، د/ محمد بن إسحاق كندو، مكتبة دار المنهاج– الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ، ١/ ١٥٣.**

**(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، ١/ ٥٠٢، والطبراني في الدعاء، حديث رقم (١٧٥١)، والبيهقي في الأسماء والصفات، حديث رقم (٥٩).**

إنَّ كلمة "سُبْحَانَهُ" هي تعبيرٌ بلاغيٌّ رفيعٌ عن تنزيه الله – تَعَالَى– وتقديسه، فهي تجمع بين الإيجاز والعُمْقِ، وتُظهر روعةَ البيان القرآني في التأكيد على كمال الله المطلق، فكلَّما وردت هذه الكلمةُ في القرآن الكريم، كانت بمنزلةِ تذكيرٍ للمؤمنين بعظمةِ اللهِ وجلالِهِ، وتنزيهِه عن كلِّ ما لا يليق بذاتِهِ المقدَّسة، وهي بذلك تُعدُّ من أبرزِ الكلمات التي تُجسِّد بلاغةَ القرآن في التأكيدِ على التَّنْزيهِ المطلقِ لله –عزَّ وجلَّ–، بل وتعدُّ أداةً بلاغيَّةً تزيد من قوة الصورة الذهنية التي يبنيها المسلمُ عن الله، وتجعله في ذهنه مُنزَّهًا عن كلِّ وصفٍ بشريٍّ، ولعلَّ تكرارَه لهذه الكلمةِ في القرآن يعزِّز من هذه المكانة في قلب المؤمن، ويعمِّقُ مفهومَ القداسة والتوحيد؛ ممَّا يجعلها إحدى الأدواتِ البلاغيَّةِ المميّزة التي ترفع من عظمة القرآن في نفوس السامعين.

****

## المطلب الثالث

## "سُبْحَانَهُ" في السِّياقِ القرآنيّ

تعدُّ كلمة "سُبْحَانَ" من المفردات التي تكرَّر ذكرُها في القرآنِ الكريمِ، وبلغ ستًّا وثلاثين مرةً[1] على لسان المؤمنين تسبيحًا وتنزيهًا، وكذلك عن أهل الجنة، وقد ذكر اللهُ

---

[1] وذلك في قوله –تعالى–: ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة:٣٢]، ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾[البقرة: ١١٦]، ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[آل عمران: ١٩١]، ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٧١]، =

=

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾ [المائدة: ١١٦]، ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]، ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ **[يونس: ١٨]**، ﴿قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ **[يونس: ٦٨]**، ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ **[النحل: ١]**، ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ **[النحل: ٥٧]**، ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ **[الإسراء: ١]**، ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ **[الإسراء: ٤٣]**، ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٣]، ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ [الإسراء: ١٠٨]، ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۖ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [مريم: ٣٥]، ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾

=

=

[الأنبياء: ٢٦]، ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦]، ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعۡتَهُمۡ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكۡرَ وَكَانُواْ قَوۡمَۢا بُورَۢا﴾ [الفرقان: ١٨]، ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤١]، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الروم: ٤٠]، ﴿لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤]، ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]، ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١]، ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨]، ﴿سُبۡحَانَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يس: ٣٦]، ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ **[الصافات: ١٥٩]**، ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٨٠]، ﴿لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ﴾ [الزخرف:١٣]، ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الزخرف: ٨٢]، ﴿أَمۡ لَهُمۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الطور: ٤٣]، ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ

=

تَعَالَى أنَّ الملائكةَ والطَّيْرَ والجبالَ والرَّعدَ وجميعَ الموجوداتِ تُسبِّحُه، وذلك بلفظ الفعل، وتعتبر كلمة "سُبْحَانَ" من الأدوات البلاغيَّة الرائعة التي تدلُّ على "تنزيه الله" -عزَّ وجلَّ- عن أيِّ نقصٍ أو عيبٍ، وهي كلمةٌ تحمل في طيَّاتها دلالاتٍ معنويةً تتجاوز المعنى اللغوي إلى عمق المعاني البلاغيَّة التي ترفعُ من شأنِ الله وتعظِّم قدره، بحيث صارتْ كلمة "سبحان" علامةً لغويَّةً وبلاغيَّةً مميزةً، تحملُ عمقًا دلاليًّا وإعجازًا بيانيًّا يعلو فوق مجرَّدِ الكلمات، جامعًا بين تنزيه الله وتعظيمه في إطارٍ من الكمالِ والجلالِ المطلقِ.

**وتتعدد دلالات معاني "سُبْحَانَ" في القرآن الكريم على عشرة أوجه، هي:**

**الأول:** استعمال "سبحان" في معنى التَّنْزيه والتقديس والتعظيم، وهو الوجه الأبرز والأكثر ورودًا في القرآن، وهو المرَادُ غالبًا عند الإطلاق، حيث يَتَجَلَّى في نفي النقائص عن الله سُبْحَانَهُ وإثبات الكمال له، فـ "سُبْحَانَ" كلمةٌ واحدةٌ تختصر معاني متعددةً من التَّنْزيه والتقديس والإعلاء، وهي من مظاهر الإيجازِ القرآنيّ الَّذي يجمع المعاني في لفظٍ موجزٍ، ففي السِّياق القرآنيّ، يأتي الفعل "سَبَّحَ" ليُعبِّر عن "تنزيه الله"، بمعنى "تبرئة الله عن النقائص"؛ لتأكيد التَّنْزيه المطلق للهِ عن الشريكِ أو المِثل أو عن أيِّ تشبيهٍ بشريٍّ، و"سُبْحَانَهُ" مصدرٌ مؤكَّدٌ على وزن "فُعْلان"، وهو مصدرٌ مختصٌّ بالله -عزَّ وجلَّ-، يُستخدم للتأكيد على تنزيهه الكامل، ومن ثمَّ فإنَّ كلمةَ "سُبْحَانَهُ" تحمل في طيَّاتها التَّنْزيهَ المطلقَ لله عن كلِّ ما لا يليق بجلاله، يتجلَّى ذلك في النصِّ القرآنيّ البديع لأول ورودٍ لكلمة "سُبْحَانَ" على لسان الملائكة في قوله تَعَالَى: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا

---

= ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الحشر: ٢٣]، ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ [القلم: ٢٩].

﴿مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢]، وقد جاء هذا التعبير للدلالة على التَّنْزيه والتعظيم المطلق لله –عزَّ وجلَّ–، مقرونًا بتقديسه وتنزيهه عن كلِّ ما لا يليق بجلاله، وفي تفسير هذا الموضع يقول أبو حيَّان: "«قَالُوا سُبْحَانَكَ»: أي تنزيهك عن الادِّعاء وعن الاعتراض"(١)، وقيل: معناه "تنزيهٌ لكَ بعد تنزيهٍ، لفظُهُ لفظُ تثنيةٍ، والمعنى كذلك، كما قالوا في «لبَّيْكَ» وَمَعْنَاهُ: تَلْبِيَةً بَعْدَ تَلْبِيَةٍ"(٢)، وقد سئل ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: ما سبحان الله؟ قال: "كلمةٌ رضيها الله –عزَّ وجلَّ– لنفسه، وأمر بها ملائكته، وفزع لها الأخيارُ من خلقِهِ"(٣)، "وجماع معناه بُعده – تبارك وتَعَالَى– عن أن يكون له مثلٌ أو شريكٌ أو ندٌّ أو ضدٌّ"(٤).

وعندما يُضاف هذا التَّسْبيح إلى اسم الله تَعَالَى، فإنه يحمل في طياته نفيَ كلِّ عيبٍ ونقصٍ، مقرونًا بإثبات الكمال والجلال، ذكر ابنُ فارس: "ومن البابِ التَّسْبيحُ وهو تنزيهُ اللهِ جلَّ ثناؤه من كلِّ سوءٍ، والتَّنْزيهُ: التبعيد"(٥)، فالتَّسْبيحُ إبعادٌ للقلوب والأفكار عن أدنى تصوُّرٍ للنَّقص أو الشرِّ تِجاهَ الخالق –سُبْحَانَهُ وتعالى–، وقال سيبويه وغيره من النحويين: إن معنى سُبْحَان الله: "براءةُ اللَّهِ من السُّوءِ، وتنزيهُهُ من السُّوءِ"(٦)، ويُبيِّن النبيُّ

(١) تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ)، بعناية: صدقي محمد جميل العطار، زهير جعيد، عرفان العشا حسّونة، دار الفكر– بيروت، ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م، ١/ ٢٧٣.

(٢) السابق ذاته.

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي(٩١١هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٣م، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، ١/ ٥٧٢.

(٤) تهذيب اللغة، لسان العرب (مادة: س ب ح).

(٥) معجم مقاييس اللغة، (س ب ح).

(٦) معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، ١/ ١١٠.

ﷺ دلالة التعظيم في التَّسْبيح بقوله: «فأمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عزَّ وجلَّ»[١]؛ مما يجعل التَّسْبيحَ جامعًا بين التَّنْزيه والتعظيم، فهو ليس مجردَ نفيٍ للنقصِ، بل هو إثباتٌ للكمال المتفرد، وقد أشار الزَّبيديّ إلى هذه الصفة الدائمة في قوله: «التَّسْبيحُ هو إخبارٌ قُصِدَ به إظهارُ العبوديَّةِ واعتقادُ التقديسِ أو إنشاءُ نسبةِ القدسِ إليه تَعَالَى»[٢].

و"سُبْحَانَهُ" من الكلمات القرآنيَّة التي تحمل دلالاتٍ عميقةً في تأكيد تنزيه الله تَعَالَى عن كلِّ نقصٍ أو شريكٍ، فهي ليست مجردَ لفظةٍ عابرةٍ، بل هي تعبيرٌ عن تقديسٍ مطلقٍ وتنزيهٍ كاملٍ للذات الإلهيّة، وتأتي هذه الكلمةُ في القرآنِ الكريمِ في مواضعَ مختلفةٍ لتؤكدَ على كمال الله المطلق، وتنزيهِه عن كلِّ ما لا يليق بجلاله.

**وتتجلى مظاهرُ هذه الكلمةِ في السِّياق للتأكيدِ على التَّنْزيهِ المطلقِ القرآنيّ فيما يأتي:**

- **التَّنْزيه عن العيوب والنَّقائص:** تأتي كلمة "سُبْحَانَهُ" في القرآن الكريم للتأكيد على تنزيه الله –عزَّ وجلَّ– عن أيِّ عيبٍ أو نقصٍ قد يتصوره البشر، هذا التَّنْزيه يشمل جميعَ جوانبِ عظمةِ الله، سواءٌ في ذاتِهِ أو في أفعالِهِ أو في صِفاتِهِ، وعن كلِّ ما يُنسبُ إليه من أوصافٍ لا تليق بجلالِهِ، هذا التَّنْزيهُ يُطهِّرُ اللهَ من أيِّ تشبيهٍ بشريٍّ أو صفةٍ مخلوقةٍ، بل هو مُنزَّه عن كلِّ شيءٍ، قال – تَعَالَى–: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، تُستخدم هنا "سُبْحَانَهُ" للتعبير عن تنزيه الله عن التشبيه بأيِّ مخلوقٍ، حيث تأتي لتُفصِّلَ هذا التصوُّرَ، وتُبيِّن أنَّ الله لا يُشبهه شيءٌ، ولا يصحُّ أنْ يتصور أحدٌ

---

(١) أخرجه مسلمٌ في صحيحه، كتاب الصلاة، باب النهي عن القراءة في الركوع والسجود، حديث رقم (٤٧٩).

(٢) تاج العروس، (س ب ح) .

أنَّ له مثيلًا، وتُظهر كيف أنَّ استخدام "سُبْحَانَهُ" ينفي أيَّ تصوُّرٍ بشريٍّ أو ماديٍّ للهِ، قال – تعالى-: ﴿سُبْحَانَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الزخرف: ٨٢]، «وهذه الآيةُ خالصةٌ للتنزيهِ، انصبَّ التَّسبيحُ فيها على ربِّ السماوات؛ لأنَّها جاءت عقب آية ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾، والولادةُ تُنافي الرُّبوبيَّة، فانصبَّ التسبيحُ على الدَّليل الذي هو ربوبيَّة السماء والأرض والعرش، وقد ذُكر العرشُ فيها ولم يُذكر في غيرِها؛ لأنَّ العرشَ من أقوى أدلَّة الألوهيَّة»[1].

– **التَّنْزيه عن العجز**: اللهُ – تَعَالَى- مُنَزَّهٌ عن العجز، وكلمة "سُبْحَانَهُ" تُستخدم لتأكيد قدرة الله المطلقة، وأنَّه لا يُعْجِزه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، ومنه قوله – تَعَالَى-: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]، هنا تُستخدم كلمة "سُبْحَانَهُ" لتأكيد أنَّ هذا الإسراء المعجزة هو من قدرة الله الذي لا يعجزه شيءٌ، وهو مُنَزَّهٌ عن قيود الزَّمان والمكان.

– **التَّنْزيه عن الحاجة**: اللهُ – تَعَالَى- مُنَزَّهٌ عن الحاجة إلى أيِّ شيءٍ، وكلمة "سُبْحَانَهُ" تُستخدم لتأكيد أنَّ الله – تَعَالَى- هو الغنيُّ عن العالمين، قال تَعَالَى: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾[الزمر: ٤]، جاءت كلمة "سُبْحَانَهُ" لتأكيد أنَّ الله هو الواحد القهَّار الذي لا يحتاج إلى أحدٍ، وهو الغنيُّ عن كلِّ شيءٍ.

---

(١) آل حم (الشورى– الزخرف– الدخان) دراسة في أسرار البيان، د/ محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة– القاهرة، ط١، ١٤٣١هـ– ٢٠١٠م، صـ ٥٢٦.

**الثاني**: التأكيد على الوحدانيَّة والتَّنْزيه عن الشَّرِيك والمثِيل، تأتي كلمة "سُبْحَانَهُ" في القرآن لتُعلن تنزيه الله عن الشريك والمثيل، كما في قوله تَعَالَى: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]، حيث ترفع اللهَ عن أيِّ تصوُّرٍ بشريٍّ أو عن أيِّ مخلوقٍ قد يُشبهه، وبالتالي تتجهُ الكلمةُ إلى التأكيدِ على التفرُّدِ الإلهيِّ، وتُعدُّ هذه الكلمةُ أداةً دلاليَّةً للتأكيدِ على أنَّ الله ليس له شريكٌ، ولا نظيرٌ في عظمتِهِ وخصائصِه، قال تَعَالَى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١]، حيث تأتي الكلمةُ غالبًا في سياقاتِ الردِّ على عقائدِ الشرك أو التصوُّرات الخاطئةِ عن الله؛ مما يعطيها بُعدًا بلاغيًّا يحمل معنى الدِّفاع والمنافحة، فغالبًا ما تأتي كلمة "سُبْحَانَهُ" مع عباراتِ النفيِ لتعزيزِ معناها.

**الثالث**: دلالة التأكيد على علوِّ الله، من خلال استخدام "سُبْحَانَهُ"، يُؤَكِّدُ القرآنُ على العلوِّ والرفعةِ للهِ –عزَّ وجلَّ–، فهي ترفع اللهَ إلى مقامِ السموِّ، وتُبقيه في موضع القداسة بعيدًا عن أيِّ مقارنةٍ أو تشبيهٍ، وتعملُ هذه الكلمةُ على ربْطِ القرآن بين تنزيهِ الله وعلوِّهِ المطلَقِ عن كلِّ مخلوقٍ، وتعدُّ كلمة "سُبْحَانَهُ" من أدوات المبالغة في العلوِّ والتَّنْزيه، حيث يتمُّ التأكيدُ على كمالِ الله وعظمتِهِ في كلِّ الصفات، هذه المبالغة تعمل على رفع مكانة الله في ذهن القارئ أو السامع؛ مما يخلق انطباعًا مستمرًّا بأنَّ اللهَ أرفعُ وأسمى من كلِّ تصوُّرٍ بشريٍّ أو من أيِّ نقصٍ، وفي الآية ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الزخرف: ٩٠] تبيِّن بشكلٍ واضحٍ العلوّ لله في كلِّ وصْفِهِ وصفاتِهِ، فهي

«تنزيهٌ لله عما يصفه به هؤلاء المشركون من أنَّ له ولدًا، وعمَّا قالوه من أنَّ له شريكًا، أو أنَّ معه في القدم إلهًا يُعبد تبارك وتعالى»[1].

**الرابع**: الصلاةُ بمعناها الجامع، يَتَّسعُ التَّسْبيح ليشملَ الصلاةَ لما تَحْوِيه من تنزيهٍ وتَعْظِيمٍ وحمدٍ، كما في قوله تَعَالَى: ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ﴾[طه: ١٣٠]، فالتَّسْبيح هنا مستعملٌ في الصلاة؛ لاشتمالِها على تسبيحِ اللهِ وتنزيهِهِ[2]، وقد فَسَّرَ الطبريُّ هذا المقامَ بقوله: «أي صَلِّ بثنائِكَ على ربِّكَ، فالتَّسْبيحُ هنا يَتَضَمَّنُ صلاةَ الفجرِ قبلَ طُلُوعِ الشَّمسِ، والعصرَ قبلَ غروبِها، والعشاءَ في آناءِ اللَّيلِ، والظهرَ والمغربَ في أطرافِ النَّهارِ»[3]، وفي هذا التفصيل تَتَبَدَّى حكمةٌ ربانيَّةٌ تُنَظِّمُ أوقاتَ العبادةِ لتكونَ نبراسًا للرُّوحِ وتَزْكِيَةً للنفسِ.

**الخامس**: التأكيد على التفرُّد الإلهيّ، من خلال كلمة "سُبْحَانَهُ"، يظهر تفرُّد الله عزَّ وجلَّ في أسمائه وصفاته، فهو – سُبْحَانَهُ وتَعَالَى– ليس له مثيلٌ في أفعاله أو صفاته، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١]، ويظل متفردًا عن كلِّ المخلوقات، فكلمة "سُبْحَانَهُ" تنفي المثيل والنظير للهِ –عزَّ وجلَّ–﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ

---

(١) تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤٢٢ هـ– ٢٠٠١م، ١٩/ ٦٦.

(٢) التحرير والتنوير، ١٦ / ٣٣٧.

(٣) تفسير الطبري، ١٦/ ٢٠٨.

﴿كُفُوًا أَحَدٌ﴾[الإخلاص: ٤]، وهذه المبالغة في التفرُّد تعطي اللهَ مكانةً عاليةً تتجاوز كافَّة التصوُّرات.

**السادس**: التَّسْبيح بمعنى الدعاء، يَظْهَرُ التَّسْبيحُ كدعاءٍ يَجْمَعُ بين التضرُّع والتَّنْزيه، كما في قول أهل الجنَّة: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾[يونس: ١٠]، وقول ذي النون عليه السلام: ﴿فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[الأنبياء: ٨٧]، ويُؤَكِّدُ النبيُّ – صلى الله عليه وسلم– عِظَمَ هذا الدعاء بقوله: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ، إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلاَّ اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ»[(١)]، فالتَّسْبيح هنا طريقٌ إلى النجاة، ومفتاحٌ للإجابة، يَحْمِلُ في طيَّاته الاعترافَ بكمالِ الله والتذللَ بين يديه.

**السابع**: التَّسْبيح بمعنى عموم الذكرِ المطْلَق، تُستخدم كلمة "سُبْحَانَهُ" في القرآن أيضًا في سياق العبادة، حيث تعني تسبيح الله ورفع قدره عن أي مخلوق، في قوله تَعَالَى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤]، فالآية تؤكد أنَّ كلَّ ما في الكون يُسَبِّح لله ويُعظِّمه، ممَّا يدلُّ على أنَّ التَّسْبيح هو صورةٌ من صور العبادة التي ترفع الله عن كلِّ ما لا يليق به؛ مما يخلق أداةً بلاغيَّةً متميزةً للتعبير عن عظمة الله وقداسته، وفي هذا تَتَجَلَّى مرونةُ اللغة القرآنية في احتضان معانٍ تُحيي القلبَ وتَرْفَعُ الروحَ إلى مقاماتِ القُربِ. كذلك يَتَّسِعُ التَّسْبيحُ ليَشْمَلَ كلَّ ذكرٍ يَرْفَعُ قدرَ

(١) رواه الترمذي، عن سعد بن أبي وقَّاص، وصححه الألبانيّ. سنن الترمذي، حديث رقم (٣٥٠٥).

الله ويُعَظِّمُه، كما قالتِ الملائكةُ: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠]، والمعنى: «إناَّ نُعظِّمُكَ بالحَمدِ لكَ والشُّكرِ، وكُلُّ ذكرٍ للهِ عند العربِ فتَسْبيحٌ وصَلَاةٌ، فَهُوَ عِنْدَ الْعَرَبِ يَعُمُّ الثَّناءَ والصَّلاةَ، حتَّى قالُوا: "قضيتُ سُبْحَتِي"، أيْ أتْمَمْتُ ذِكْرِي وَصَلاتِي، وذكر الطبريُّ أنَّ التَّسْبيحَ هو صلاةُ الملائكةِ[١].

إنَّ صيغةَ "سُبْحَانَ" باعتبارها مفعولًا مطلقًا لفعلٍ محذوفٍ تحمل قوةً تعبيريَّةً تجعلها دعوةً مستمرَّةً للعبدِ لتنزيهِ اللهِ في قلبِهِ ولسانِهِ، هذه الصيغةُ لا تكتفي بالوصف، بل تحثُّ على فعلٍ؛ ممَّا يجعلها أداةً عباديَّةً تعبيريَّةً، فهي ليست وصفًا ساكنًا، بل دعوةٌ للعبد للمشاركة في فعل التَّنْزيه، والتكرارُ المنتظمُ للتسبيح بـ "سُبْحَانَ اللهِ" يرسِّخُ مفهومَ التَّنْزيهِ في النَّفسِ، ويجعل العبادة تعبيرًا حيًّا عن التوحيد، وفيه تعبيرٌ عن تعظيم الله وتنزيهِهِ عن النقائص؛ مما يحثُّ المؤمنَ على مُحاكاة هذا التَّنْزيه في عبادته اليومية.

**الثامن:** التَّسْبيح بمعنى عموم العبادة، يُطلق لفظ "التَّسْبيح" على عموم العبادة، ومن ذلك قول الله – تَعَالَى– في سورة الصافات: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣-١٤٤]، وقد روي عن وهب بن مُنبِّه قوله: «إنَّه مِنَ العابِدِينَ»[٢]، فالتَّسْبيح هنا يعبر عن الخضوع والإخلاص في العبادة التي كانت سببًا في نجاة يونس – عليه السلام– من بطن الحوت؛ مما يدل على شموليَّةِ هذا المعنى في مقام الطاعة.

---

(١) تفسير الطبري، ١ / ٥٠٢.

(٢) تفسير عبد الرزاق، لأبي بكر عبد الرزاق اليماني الصنعاني (ت٢١١هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، ط١، ١٤١٩هـ،٣ / ١٠٣، برقم ٢٥٥٧.

إن اللمحة البلاغيَّة في استخدام "سُبْحَانَهُ" في القرآن كنداءٍ تنزيهيٍّ يحمل طابعًا تعبديًّا ضمنيًّا، حيث يُدعى العبدُ إلى محاكاةِ هذا التَّنْزِيهِ بلسانِهِ وقلبِهِ، فالتَّسْبيحُ إذن هو الصدى العمليُّ لهذا النداء، والتَّسْبيح لا يقتصر على الثناء، بل يعزِّز الإيمانَ بكمالِ الله، ممَّا يجعله وسيلةً لتجديدِ التوحيدِ في النفسِ، فضلًا عن أنَّه يُعتبر وسيلةً لتهذيبِ النفسِ وتربيتِها على التواضعِ ونفيِ الكِبر، فالتكرارُ المستمرُّ لـ "سُبْحَانَ اللهِ" يُذكِّرُ العبدَ بمحدوديَّتِهِ أمامَ عظمةِ الله، مما يجعله أداةً تربويَّةً بالإضافةِ إلى كونه عبادةً، وقد جاء الأمرُ صريحًا به ليحُثَّ على التَّسْبيح كاستجابةٍ لعظمة الخالق، قال – تعالى-: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾[الواقعة: ٧٤]، والأمر بـ"فَسَبِّحْ" هنا يحمل طابعًا تعبديًّا مباشرًا، ويربط التَّسْبيح بتأمُّلِ الآياتِ الكونيَّة؛ مما يُضيف عمقًا تأمليًّا للعبادة.

**التاسع**: التَّسْبيح بمعنى ظهور أثر الصنعة الإلهيّة، يُطلق التَّسْبيحُ على ظهور أثر الصنعة الإلهيّة ودقَّةِ الخلْقِ، كما في قول الله – تَعَالَى-: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤]. والمقصود ما تجلَّى في هذه المخلوقات من آثار الصُّنْع البديع التي تُشيرُ إلى وحدانيَّةِ الله تَعَالَى وقدرتِهِ، وقد فسَّر الماورديُّ ذلك بقوله: «تسبيحُها هو ما يظهر فيها من لطيفِ صنعتِهِ وبديعِ قدرتِهِ، مما يعجز الخلق عن مثله،

فيوجب ذلك لمن تأمله تسبيح الله وتنزيهه»[1]، فالتَّسْبيح هنا دليلٌ على إدراك عظمة الخالق من خلال مخلوقاتِهِ.

**العاشر**: التَّسْبيح بمعنى الاستثناء والتوكل، يُطلق التَّسْبيح على الاستثناء، كما في قول الله تَعَالَى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾[القلم: ١٧-١٨]، والمراد بالاستثناء هنا قول "إن شاء الله"، لكنَّ الآياتِ أشارتْ إلى أنَّ أصحابَ الجنة استعاضوا عنه بالتَّسْبيح، كما في قوله – تَعَالَى-: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: ٢٨]، فقد « كَانَ اسْتِثْنَاؤُهُمْ قَوْلَهُمْ سُبْحَانَ اللَّهِ رَبَّنَا»[2]، أي بدلًا من «إن شاء الله»، فمعنى "لَوْلَا تُسَبِّحُونَ" أي: لِمَ لَمْ تَستثنوا؟[3]، وفي الاستثناء تتجلَّى معاني ذكر الله – تَعَالَى- وتعظيمه، والافتقار إليه، والاستعانة به – سُبْحَانَهُ-؛ إذ يظهر أنَّ إرادة الإنسان تابعةٌ لمشيئته تَعَالَى، وقد أكَّد القرآنُ هذا المعنى في قوله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾[الكهف: ٢٣-٢٤]، فجعل الاستثناء

---

(١) تفسير الماورديّ النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ٣/ ٢٤٥.

(٢) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، ١٨/ ٢٤١.

(٣) تفسير الطبري، ٢٣ / ٥٥١.

تعبيرًا عن التوكل والتفويض، فـ «في التسبيحِ تنزيهُ الربِّ تعالى، وفي الاستثناء معنى التنزيه؛ لأنَّ فيه إقرارًا أنَّ الله تعالى هو المغيِّرُ للأشياء والمبدِّلُ لها»(١).

يتضح أنَّ لفظ "التَّسْبيح" يحمل دلالاتٍ متعددةً تربط بين العبادة والاستثناء المعبِّر عن التوكُّل، وإدراك آثار الخلق الدالَّةِ على التوحيد، في نسقٍ لغويٍّ متماسكٍ يعكسُ غنى التعبير القرآنيّ.

**والخلاصة:** إنَّ كلمة "سُبْحَانَهُ" هي تعبيرٌ بلاغيٌّ رفيعٌ عن تنزيه الله تَعَالَى وتقديسه، فهي تُستخدم في القرآن الكريم لتأكيد كمال الله المطلق، وتنزيهه عن كلِّ نقصٍ أو شريكٍ، فمن خلال هذه الكلمة يُذكِّر القرآنُ المؤمنينَ بأنَّ اللهَ – تَعَالَى– أعلى وأجلُّ من أن يُقاس بمعايير البشر أو يُشبَّه بخلقِهِ، وهي بذلك تُعدُّ من أبرزِ الكلماتِ التي تُجسِّد بلاغةَ القرآنِ في التأكيدِ على التَّنْزيه المطلقِ لله عزَّ وجلَّ.

****

## المطلب الرابع

## سياقات ورود "سُبْحَانَهُ" منفردةً في القرآنِ الكريمِ

تتجلَّى عظمةُ القرآنِ الكريم في بلاغته الفائقة ودقَّةِ تعبيراتِهِ الَّتي تحمل في طيَّاتِها معاني عميقةً تتجاوز ظاهرَ الألفاظِ إلى أغوارِ البلاغة والدلالة، ومن بين الكلمات التي وردت في سياقاتٍ خاصَّةٍ كلمةُ "سُبْحَانَهُ"، التي جاءت منفردةً أحيانًا ومقترنةً بـ "تَعَالَى" في أحايين أخرى، هذه الكلمةُ ليست مجردَ تعبيرٍ عابرٍ، بل تحملُ في سياقِها البلاغيّ دلالاتٍ تنزيهيَّةً وعقديَّةً وأسلوبيَّةً تُضفِي على النصِّ – بمفردها– غِنًى معرفيًّا وروحيًّا، وهو ما يُبرزُ خصوصيَّةً أسلوبيَّةً في هذه الآية، حيث تكتفي الكلمةُ بذاتِها لتحملَ معنى

(١) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية– بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م، ١٠/ ١٤٥.

التَّنزيهِ الكاملِ؛ ممَّا يعكسُ قوةَ الإيجازِ البلاغيِّ في القرآن الكريم، وسوف نستعرضُ الدَّلالاتِ البلاغيَّةَ لورود "سُبْحَانَهُ" منفردةً في آي الذكر الحكيم.

تعدُّ كلمةُ "سُبْحَانَهُ" من الألفاظِ القرآنيَّةِ ذاتِ الدَّلالةِ العميقةِ والأثرِ البلاغيِّ البارزِ، حيثُ تظهرُ في سياقاتٍ متعددةٍ تعكسُ تنوعًا في المعاني والوظائف التعبيريَّة، وورودُ هذه الكلمةِ منفردةً في النصِّ القرآنيِّ يحملُ في طيَّاته حكمةً بلاغيَّةً تستحقُّ الدراسةَ والتحليلَ؛ إذ تجمعُ بين الإيجازِ اللفظيِّ والشموليَّةِ المعنويَّةِ، ويمكنُ تحليلُ الآياتِ التي وردتْ فيها كلمةُ "سُبْحَانَ" منفردةً بلاغيًّا على النحو الآتِي:

**أولًا: الآياتُ التي تركّزُ على معنى تنزيهِ اللهِ عن الشِّرْك والتشبيه:**

قال اللهُ – تعالى-:﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾[البقرة: ١١٦].

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾ [النساء: ١٧١].

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[التوبة: ٣١].

﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[يونس: ٦٨].

﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ﴾ [النحل: ٥٧].

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [مريم: ٣٥].

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦].

﴿لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤].

هذه ثمانيةُ مواضعَ لآياتٍ وردَتْ فيها كلمةُ "سُبْحَانَهُ" منفردةً، وهذا الانفرادُ يمثِّلُ نموذجًا بلاغيًّا متميزًا يجمع بين الإيجازِ والقوَّةِ في التَّعبيرِ، والتنزيهِ المطْلَقِ والردِّ الحاسِمِ على الافتراءات، فدلالتُها تتجاوزُ المعنى الظاهريَّ لتشملَ أبعادًا عقديَّةً وروحيَّةً وأسلوبيَّةً،

حيثُ تعملُ كمحورٍ يفصل بين الحقِّ والباطل، وتُبرز كمالَ اللهِ واستحالةَ مشابهتِهِ للمخلوقاتِ، هذا الاستخدامُ يعكسُ حكمةً إلهيَّةً في اختيارِ الألفاظِ التي تحملُ في بساطتِها عمقًا يتَّسع للتأمُّل والدراسة؛ ممَّا يؤكِّدُ مكانةَ القرآنِ كمعجزةٍ بلاغيَّةٍ لا تُضاهَى، والتي يمكن الوقوف على تميُّزها كما يلي:

**الإيجازُ البلاغيُّ والقوَّةُ التعبيريَّةُ (الردُّ الحاسم)**: من أبرز سماتِ "سُبْحَانَهُ" في هذه الآيات قدرتُها على تحقيق الإيجازِ البلاغيّ، ففي كلمةٍ واحدةٍ تجمع "سُبْحَانَهُ" بين التنزيهِ المطلقِ والتعظيمِ والردِّ الحاسمِ على الافتراءِ، هذا الإيجازُ لا يُقلِّلُ من قوَّةِ التعبير، بل يُعزِّزُها بإبرازِ استقلاليَّةِ اللفظةِ وقوَّتِها الذاتيَّةِ في الردِّ على الادِّعَاءاتِ الباطلةِ، فعلى سبيل المثال، في قوله – تعالى-: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [البقرة: ١١٦]، تأتي "سُبْحَانَهُ" كجملةٍ مستقلَّةٍ تعكس السرعةَ في النَّفي والرَّفضِ، دون حاجةٍ إلى تكملةٍ لفظيَّةٍ مباشرةٍ؛ مما يجعلها كافيةً للتعبير عن موقفِ الملائكةِ الكُلِّيّ من اللهِ، ويُعزِّزُ الحسمَ في الردِّ، فهي ليست مجردَ كلمةٍ، بل جملةٌ معنويَّةٌ مكتملةٌ تختزل فيها الملائكةُ إدراكَها لعظمةِ الله وتنزيهِهِ عن أيِّ نقصٍ أو جهلٍ أو عجزٍ.

وتفصيلًا نجدُ في آيات [البقرة: ١١٦، ويونس: ٦٨، والأنبياء: ٢٦]، تأتي "سُبْحَانَهُ" بعدَ قولِ المبطِلِينَ ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ﴾ و ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ﴾، وهنا تعمل "سُبْحَانَهُ" كجملةٍ مستقلَّةٍ تحملُ معنًى كاملًا مضمرًا مثل: «سبحانه عن ذلك»؛ ممَّا يجعلها بديلًا عن استرسالٍ قد يطولُ، ومن أسرارِ الإيجازِ في القرآنِ الكريمِ «انتقاءُ

الألفاظِ الجامعةِ المانعةِ التي هي بطبيعتِها اللغويةِ أتمُّ تحديدًا للغرضِ، وأعظمُ اتساعًا لمعانيه المناسبة»[١].

ونجد في آيات [النساء: ١٧١، ومريم: ٣٥] أنَّ كلمة "سُبْحَانَهُ" تُدمج مع نفي الولد ﴿سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾، ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾، ممَّا يُبرز الإيجازَ المقترنَ بالدليل العقلي، حيث تكفي الكلمة لنفي النقص دون حاجةٍ إلى تفصيلٍ مُطوَّلٍ، وفي آية [النحل: ٥٧]، تُستخدم للتنزيه عن نسبة البنات مع إبراز التناقض الساخر ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾؛ مما يجعلُ الإيجازَ مشحونًا بالسخرية البلاغية، وعليه فإنَّ الإيجاز هنا لا يقتصرُ على تقليلِ الألفاظ، بل يحمل وظيفةً جدليَّةً تؤكِّدُ الرفضَ وتنزيهَ اللهِ بسرعةٍ تجعل المتلقي يدرك بطلانَ الادِّعاءِ فورًا.

**التَّنزيه المطلق عن الشِّرك ونفي التشبيه:** إن "سُبْحَانَهُ" في هذه الآيات تحمل دلالةً تصويريَّةً بيانيَّةً تؤكِّدُ تنزيهَ الله عن أيِّ مشابهةٍ بالمخلوقات، حيث تظهر "سُبْحَانَهُ" في هذه السياقات كنقطةِ انفصالٍ حاسمةٍ بين الادِّعاءِ الباطلِ والحقيقةِ الإلهيَّةِ، ففي الآياتِ التي ترد في سياق نفي نسبةِ الولدِ إلى الله [البقرة: ١١٦، النساء: ١٧١، يونس: ٦٨، النحل: ٥٧، مريم: ٣٥، الأنبياء: ٢٦، الزمر: ٤]، تعمل الكلمةُ كحدٍّ فاصلٍ ينفي التشبيهَ ويؤكِّدُ التنزيهَ المطلقَ، فالمفردةُ هنا تحمل دلالةً ضمنيَّةً تُشيرُ إلى استحالةِ أن

---

**(١) النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمد بن عبد الله دراز (ت ١٣٧٧هـ)، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، قدم له: أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، صـ١٦٩.**

يتَّصِفَ اللهُ بما يتَّصِفُ به المخلوقُ من حاجةٍ أو نقصٍ، كما في قوله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ [يونس: ٦٨]، حيث يتبعُ التنزيهَ تأكيدُ الغِنَى المطلق، بجملةٍ اسميَّةٍ تعليليَّةٍ مفصولةٍ عن سابقتِها؛ لشبهِ كمالِ الاتِّصالِ، فجملةُ ﴿هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ جاءتْ «بَيانًا لِوَجْهِ التَّنْزِيهِ، أيْ هو الغَنِيُّ عَنِ اتِّخاذِ الوَلَدِ؛ لِأنَّ الإلَهِيَّةَ تَقْتَضِي الغِنى المطْلَقَ عَنْ كُلِّ احْتِياجٍ إلى مُكَمِّلٍ نَقْصٍ في الذّاتِ أوِ الأفْعالِ، واتِّخاذُ الوَلَدِ إمّا أنْ يَنْشَأ عَنِ انْدِفاعٍ طَبِيعِيٍّ لِقَضاءِ الشَّهْوَةِ عَنْ غَيْرِ قَصْدِ التَّوْلِيدِ وكَوْنِها نَقْصًا غَيْرَ خَفِيٍّ، وإمّا أنْ يَنْشَأ عَنِ القَصْدِ والتَّفْكِيرِ في إيجادِ الوَلَدِ، وذَلِكَ لا يَكُونُ إلّا لِسَدِّ ثُلْمَةِ نَقْصٍ مِن حاجَةٍ إلى مَعْنًى في الحَياةِ أوْ خَلَفٍ بَعْدَ المماتِ، وكُلُّ ذَلِكَ مُنافٍ لِلْإلَهِيَّةِ الَّتِي تَقْتَضِي الِاتِّصافَ بِغايَةِ الكَمالِ في الذّاتِ والصِّفاتِ والأفْعالِ»[1].

ونجد هذه اللفظة في سورة [النساء: ١٧١]، ﴿سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ تُستخدمُ تعبيرًا مجردًا ينفي فكرة الولادة البشرية، ويُصحِّحُ غلطَ المدَّعين، مع تأكيدٍ قويٍّ بالقصر بـ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ﴾ أي متفردٌ لا يحتاج إلى شريكٍ أو نسلٍ، وفي سورة [النحل: ٥٧] ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ تبرز التَّنْزيهَ مع استخدام السخرية البيانيَّة في المقابلة بين نسبةِ البناتِ لله وما يشتهونهُ لأنفسِهم؛ ممَّا يعزِّزُ الصورةَ الذِّهْنِيَّةَ لتناقُضِ المشركين، وفي سورة [مريم: ٣٥] ﴿سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ تؤكِّدُ القدرةَ الإلهيَّةَ المطلقةَ مقابلَ نفيِ الحاجةِ إلى الولد؛ ممَّا يجعل التنزيهَ مقترنًا بتأكيدِ

---

(١) تفسير التحرير والتنوير، ١١/ ٢٣٠.

السِّيادةِ الخالصة، وعلى هذا فإنَّ التنزيهَ هنا ليس مجرد نفي للنَّقائصِ، بل يرسم في ذهن المتلقي عظمةَ اللهِ مقابلَ ضعفِ التصوُّراتِ البشريَّة.

**التقابل البلاغي بين الباطل والحق:** يعتمد ورود لفظة "سُبْحَانَهُ" منفردةً على أسلوبِ التقابُل البلاغيّ، حيث يُقابل القول الباطل (كادِّعاء الولَدِ أو الشِّرْكِ) بِرَدٍّ فوريٍّ يتمثَّلُ في موقع "سُبْحَانَهُ" ودورها كفاصلٍ بلاغيٍّ بين القولِ الباطلِ والردِّ الحقِّ، هذا التقابلُ يبرزُ في قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل: ٥٧]، حيث يُظهر السخرية من تناقض المشركين الذين ينسبون النقص (البنات) إلى اللهِ، بينما يختارون لأنفسهم ما يشتهون، وتأتي "سُبْحَانَهُ" لتنفيَ هذا التناقضَ بقوةٍ ووضوحٍ، حيث نجد في سورة [البقرة: ١١٦] أنَّها تفصِلُ بينَّ ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ و﴿بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، هذا الفصل يعكس انتقالًا أسلوبيًّا من النفي إلى الإثبات، حيث تُنْهِي "سُبْحَانَهُ" مرحلة الافتراء، وتبدأ مرحلة الدليل الكوني، وفي سورة [يونس: ٦٨] تفصل بين ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ و﴿هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾؛ مما يُبرز التناقضَ بين ادِّعاءِ الحاجةِ (الولد) وصفة الغِنَى المطلقِ عن كلِّ احتياجٍ، وفي سورة [الأنبياء: ٢٦] تفصل بين﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾و ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾، عاكسةً التصوُّرَ الباطلَ بتصحيحِ الموقع الحقيقيِّ للمخلوقات.

إنَّ هذا الفصلَ ليس مجردَ ترتيبٍ لغويٍ، بل يحملُ بعدًا نفسيًّا وجدليًّا؛ إذ يضع تنزيه الله كحاجزٍ يمنعُ اختلاطَ الباطلِ بالحقِّ؛ ممَّا يعزّزُ وضوحَ الرسالة العقديَّة.

يقول أبو حيَّان الأندلسيُّ: «وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الْمَقَالَةُ مِنْ أَفْسَدِ الْأَشْيَاءِ وَأَوْضَحِهَا فِي الِاسْتِحَالَةِ، أتى باللفظ الذي يَقْتَضِي التَّنْزِيهَ وَالْبَرَاءَةَ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَا تَجُوزُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، قَبْلَ أَنْ يَضْرِبَ عَنْ مَقَالَتِهِمْ وَيَسْتَدِلَّ عَلَى بُطْلَانِ دَعْوَاهُمْ، وَكَانَ ذِكْرُ التَّنْزِيهِ أَسْبَقَ؛ لِأَنَّ فِيهِ رَدْعًا لِمُدَّعِي ذَلِكَ، وَأَنَّهُمُ ادَّعَوْا أَمْرًا تَنَزَّهَ اللَّهُ عَنْهُ وَتَقَدَّسَ»(١).

**التَّأكيد على الوحدانيَّة والكمال الإلهيَّ:** في بعض الآيات، تأتي لفظةُ "سُبْحَانَهُ" لتؤكِّدَ الوحدانيَّةَ والكمالَ الذاتيَّ للهِ تعالى، كما في قوله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَعَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، وقوله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤]، وهنا تُستخدمُ الكلمةُ كتعبيرٍ مستقلٍّ ينفي الشِّرْكَ بكلِّ أشكالِهِ، سواءٌ كان في العبادة أم الصفات، مع إبرازِ كمالِ الله الذي لا يحتاجُ إلى شريكٍ أو ولدٍ.

**الإضمارُ البلاغيُّ والدَّلالة الواسعة:** تحمل لفظةُ "سُبْحَانَهُ" إضمارًا بلاغيًّا أو حذفًا يُستشفُّ من السِّيَاقِ يُثري دلالتها، حيث نجد في سورة [البقرة: ١١٦] ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ يُضمَرُ بعدَها «عَنْ ذَلِكَ» أي «سُبْحَانَهُ عَنْ ذَلِكَ القولِ»، وفي سورة [يونس: ٦٨] ﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِىُّ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍ بِهَٰذَآ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا

(١) البحر المحيط، ١ / ٥٨١.

﴿تَعۡلَمُونَ﴾، أضمرَ «عَمَّا قَالُوا»، ممَّا يترك المعنى مفتوحًا ليشملَ كلَّ ما يُناقِضُ كمالَ اللهِ، هذا الإضمارُ يعزِّزُ القوةَ الإيحائيَّةَ للكلمة، ويعزِّزُ التفاعلَ الفكريَّ مع النصِّ؛ إذ يترك للمتلقي استشعارَ التتمَّة، ممَّا يوسِّع الدلالةَ لتشمل كلَّ ما يُناقِضُ جلالَ الله، وفي سورة [الأنبياء: ٢٦] ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾ يُضمر «عن اتِّخاذ الولد»، مع إبراز الحقيقةُ يم يي ﱠ، وهذا يجعلُ الإضمارَ أداةً للانتقالِ من النفي إلى التَّصْحِيحِ، فالإضمارُ هنا أسلوبٌ بلاغيٌّ يجعل "سُبْحَانَهُ" مرنةً لتشملَ كلَّ النَّقائصَ المنسوبةَ إلى اللهِ –جلَّ جلالُهُ–، مما يُثري النصَّ بطبقةٍ دلاليَّةٍ إضافيَّةٍ تتفاعل مع وعي المتلقِّي، « وإنما كان الحذفُ معدودًا من أنواع البلاغة؛ لأنَّ نفسَ السامع تتَّسع في الظنِّ والحسابِ، وكلُّ معلومٍ فهو هيِّنٌ؛ لكونِهِ محصُورًا»[(١)].

**التناسب البلاغي مع السِّياق العقديّ:** تتَّسِمُ "سُبْحَانَهُ" بتناسبها مع الغرض العقديِّ في كلِّ آيةٍ، حيث تُتبع بأدلةٍ تؤكِّد كمالَ الله، حيث نجد في [سورة البقرة: ١١٦] ﴿بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ يقدِّم دليلًا كونيًّا على السُّلطانِ، وفي [سورة يونس: ٦٨] ﴿هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ﴾ يؤكِّدُ التنزيهَ بصفةٍ ذاتيَّةٍ تنفي الحاجة، وفي [سورة مريم: ٣٥] ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا﴾ يربط التنزيه بالقدرة الإلهية، وفي [سورة الأنبياء: ٢٦] ﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾ يُصحِّحُ التصوُّرَ بإثباتِ حقيقةِ

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل– بيروت، ط٥، ١٤٠١هـ– ١٩٨١م، ١/ ٢٥١.

المخلوقاتِ، وهذا التناسب يعكس انسجامًا بلاغيًّا بين التنزيه (نفي النقص) والإثبات (تأكيد الكمال)؛ مما يجعل "سُبْحَانَهُ" محورًا يربط النفيَ بالدليلِ في بنيةٍ جدليَّةٍ متكاملةٍ.

**التصوير والإيقاع:** تُستخدم "سُبْحَانَهُ" في آية [النحل: ٥٧] ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ مع مقابلةٍ بديعةٍ بين «الْبَنَاتِ» و «مَّا يَشْتَهُونَ»؛ مما يُضفي طابعًا ساخرًا يعزِّزُ التنزيهَ بصورة حسيَّةٍ، وقد ورودت "سُبْحَانَهُ" ككلمةٍ قصيرةٍ ذاتِ وقْعٍ موسيقيٍّ قويٍّ (سُبْ- حَا- نَهُ) يجعلها نقطةَ توقفٍ تبعثُ الرهبةَ والتعظيمَ، فالجانب البديعي يُضفي على "سُبْحَانَهُ" بعدًا جماليًّا يعزِّز من تأثيرِها النفسيِّ، ممَّا يجعلها لا تعبر عن التنزيه فحسب، بل تحمله إلى المتلقي بقوةٍ صوتيَّةٍ وصوريَّةٍ.

**الإعجازُ الأسلوبيُّ في الاستقلاليَّة:** ورود "سُبْحَانَهُ" منفردةً في هذه الآيات يُمثِّل نموذجًا للإيجاز البلاغي، حيث تحمل الكلمةُ الواحدةُ دلالةً شاملةً تنزِّه اللهَ – تعالى- عن كلِّ نقصٍ أو مشابهةٍ للمخلوقات، وورود "سُبْحَانَهُ" كجملةٍ مستقلَّةٍ يعكس جانبًا من الإعجاز الأسلوبيِّ للقرآن، إذ تجمع بين السهولة اللفظيَّة والعمق المعنويّ، ففي قوله – تعالى-: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ﴾ [مريم: ٣٥] تكفي الكلمة الواحدة للتعبير عن استحالة الفكرة منطقيًّا وعقائديًّا، مع ترك المجال للمتلقي للتأمُّل في عظمةِ اللهِ وقدرتِهِ، كما يظهر في التتمَّة: ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾.

**المقارنة البلاغيَّة مع السِّياقات الأخرى:** مقارنةً مع "سُبْحَانَكَ" في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ [البقرة: ٣٢]، تأتي "سُبْحَانَكَ" كخطابٍ مباشرٍ يُعبِّرُ عن التسليم والتعظيم، بينما "سُبْحَانَهُ" سرديَّةٌ للردِّ والتَّنزيه، ممَّا يُبرز اختلافَ الوظيفةِ

البلاغيَّةِ (التعبير عن العبودية مقابل الردِّ على الباطل)، ومقارنةً مع "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" في قوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[النحل: ١]، تضيف "تَعَالَى" العلوَّ إلى التَّنزيه، ممَّا يناسب سياقات الشرك العام، بينما "سُبْحَانَهُ" منفردةً تركِّز على التَّنْزيهِ عن نقصٍ محدَّدٍ (الولَد)، ممَّا يجعلها أكثر تخصُّصًا.

إنَّ ورودَ "سُبْحَانَهُ" منفردةً في الآيات السابقة تُظهرُ تفردًا بلاغيًّا يجمعُ بين الإيجاز الحاسم، والفصل بين الباطل والحق، والتنزيه المطلق، والإضمار الموسّع، والتناسب مع الدليل العقديّ، مع لمساتٍ بديعيَّةٍ تُثري تأثيرها، هذا الاستخدامُ يعكسُ إعجازَ القرآنِ في اختيار اللفظِ الَّذي يُحقِّق الغرضَ بأعلى درجاتِ الدِّقَّةِ والجمال، ممَّا يجعلها نموذجًا تعبيريًّا يبرزُ تفوُّقَ البلاغةِ القرآنيَّة.

وتتميز الحكمة البلاغية لورود **"سُبْحَانَهُ"** منفردةً في هذه الآيات من نواحٍ متعددةٍ أهمُّها:

- **السُّرعةُ في الردِّ والنَّفي**: الانفرادُ يعكسُ الفوريَّةَ في دحضِ الادِّعاءات الباطلة، ممَّا يُعزِّزُ الحسمَ والقطعَ في الموقفِ العقديّ، يقولُ نفطويْه: « وَلَسْتَ تَرَى ذِكْرَ **"سُبْحَانَ"** فِي سَائِرِ الْقُرْآنِ إِلَّا وَمَعَهَا إِثْبَاتٌ وَنَفْيٌ، فَالْإِثْبَاتُ لِأَسْمَاءِ اللهِ الَّتِي هِيَ صِفَاتُهُ، وَالنَّفْيُ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ، فَتَأَمَّلْهُ تَجِدْهُ فِي سَائِرِ الْقُرْآنِ»[١].

- **إبرازُ التَّنزيه المُطلق**: استخدامُ "سُبْحَانَهُ" بمفردِها يؤكِّد أنَّ التَّنزيهَ صفةٌ ذاتيَّةٌ لله لا تحتاج إلى تعليلٍ أو تبريرٍ إضافيٍّ في السِّياق الأوَّليّ.

---

**(١) مجموعة أجزاء حديثية "مسألة سبحان"، لنفطويه، دار الخراز، السعودية، دار ابن حزم، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ– ٢٠٠١م، صـ٣٨٥.**

- **التأثيرُ النفسيُّ والرُّوحِيُّ**: الكلمةُ المنفردةُ تخلقُ وقفةً تأمليَّةً لدى المتلقِّي، تدعُوه إلى الشُّعُورِ بعظمةِ اللهِ واستحالةِ نسبةِ النقصِ إليه.

- **المُرونةُ الأسلوبيَّةُ**: الانفرادُ يُتِيحُ للكلمةِ أنْ تتكيَّفَ مع سياقاتٍ مختلفةٍ (نفي الولَد، الشِّرك، التَّشْبيه) دونَ الحاجةِ إلى تغييرِ صيغتِها، ممَّا يعكسُ عبقريَّةَ اللغةِ القرآنيَّةِ.

*****

**ثانيًا: الآياتُ التي تركِّزُ على تنزيهِ الله عن النقائص البشرية:**

قال الله – تعالى–:

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

﴿قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾[المائدة: ١١٦].

﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾[الإسراء: ٩٣].

هذه ثلاثةُ مواضعَ وردَتْ فيها كلمةُ "سُبْحَانَ" تتجلَّى فيها الخصائصُ الآتية:

**التقديمُ لإبرازِ التَّنزيه**: تقديم "سُبْحَانَكَ" في أوَّل الجملة يعكس أسلوبًا بلاغيًّا يهدف إلى إبراز مقامِ الله –سبحانه وتعالى– قبل الخوض في تفاصيل الاعتراف بمحدوديَّة علمِ الملائكة، هذا التقديم يُعطي الأولويَّةَ للتَّنزيه، ممَّا يُشيرُ إلى أنَّ الملائكةَ بدأتْ خطابَها بالتسليمِ الكاملِ لعظمةِ الله، «وافتتاحُ كلامهم بالتسبيح وقوفٌ في مقام الأدب والتعظيم

لذي العظمةِ المطلقةِ»[١]، وكأنَّها تقولُ: «نُنزِّهُكَ تنزيهًا يجلُّ عن الوصفِ عن أن ننسبَ إليك نقصًا في علمٍ أو صنعٍ، ونتبرأُ إليكَ ممَّا يلزمُ قولنا من ادِّعاء العلمِ لسواكَ»[٢].

**التوجُّه المباشر والتأكيد على العلاقة الرُّوحيَّة:** استخدام ضمير الخطاب في "سُبْحَانَكَ" بدلًا من صيغة الغائب "سُبْحَانَهُ" يعكسُ توجُّهًا مباشرًا من الملائكة إلى الله، ممَّا يُضفي على النصِّ طابعًا حيويًّا وروحيًّا يعكسُ كلَّ مهابةٍ وإجلالٍ من الملائكةِ لخالقهم –جلَّ في عُلاه–، هذا الأسلوب يُبرز العلاقةَ الرُّوحيَّةَ بين الخالق والمخلوق، ويؤكِّدُ على إدراكِ الملائكةِ لقربُها من الله مع الاعترافِ بفضلِهِ وتنزيهِهِ.

**التناسبُ البلاغيُّ مع الموقف:** ورود "سُبْحَانَهُ" منفردةً يتناسب مع الموقف الذي تعبِّر عنه الآية، وهو موقف التسليم والإذعان بعد إظهار الله للحكمةِ في خلق آدم، فالملائكةُ بعد أن رأتْ دليلَ علمِ الله الواسع من خلال تعليم آدم– عليه السلام– الأسماءَ، أدركتْ أنَّ علمَهُ تعالى لا حدودَ له، فكان تعبيرُها بـ "سُبْحَانَكَ" تنزيهًا لله – تعالى– عن أيِّ جهلٍ أو نقصٍ، مع الإقرار بأنَّ علمَهم منحةٌ منه وَحْدَهُ.

**الإضافةُ المعنويَّةُ للصفاتِ الإلهيَّة:** تنتهي الآيةُ بقوله – تعالى–: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾، مما يعزِّزُ دلالة "سُبْحَانَكَ" في مستهلِّها، فالتنزيهُ في "سُبْحَانَكَ" يُمهِّدُ لتأكيد الصفات الإلهية (العَلِيمُ الحَكِيمُ)، وكأنَّ الملائكةَ تقول: «إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ

---

[١] التحرير والتنوير، ١/ ٤١٣.

[٢] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٥هـ)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الهند، وصوَّرتها دارُ الكتاب الإسلامي بالقاهرة، ط١، ١٤٠٤هـ–١٩٨٤م، ١/ ٢٤٦.

الَّذي لا يخفَى عليه خافيةٌ، الْحَكِيمُ المحكمُ لمبدعاته الذي لا يَفْعل إلَّا ما فيه حكمةٌ بالغةٌ»[1]، هذا الترابط بين التنزيه والوصفِ يعكس تناسقًا أسلوبيًّا دقيقًا.

إنَّ لفظةَ **"سُبْحَانَكَ"** في هذه الآيات تظهر هنا كتعبيرٍ ينفي أيَّ نسبةِ نقصٍ إلى الله من خلال إقرار العباد (الملائكة، عيسى، النبي محمد صلى الله عليه وسلم) بمحدوديَّتِهم، ففي سورة [البقرة: ٣٢] تأتي لنفي الجهل عن الله، وتأكيد علمه المطلق، وفي سورة [المائدة: ١١٦] تعبِّر عن استحالة القول بغير حقٍّ، (وكانتْ أوَّل نغمةٍ يُطلِقُها عيسى – عليه السلام– في هذا الموقف هو التَّسبيح ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾، ومعناهُ التقديس والتنزيه، وهذا القول ﴿ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يضادُّ هذه السبحانيَّة، أي: علويَّتِك وتنزيهك عن الشرك، وعن أن يزاحمَ هيمنتَكَ أحدٌ من خلقِكَ، وفي افتتاحِ الجواب بهذه الكلمةِ الجليلةِ توفيقٌ كريمٌ من الله سبحانه لهذا النبيِّ الكريم صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليه)[2]، بينما في سورة [الإسراء: ٩٣] تؤكِّدُ بشريَّةَ الرسولِ وتنزيهَ الله عن مطالبِ المشركين غير المعقولة، وتتميَّزُ الحكمةُ البلاغيَّةُ لورود "سُبْحَانَهُ" منفردةً في هذه الآياتِ أنَّه يعكس الفوريَّةَ والسُّرعةَ في التَّنْزيه، مع إبراز الفاصل بين كمال الله ونقص المخلوق، ممَّا يُعزِّز التواضعَ أمام الخالقِ.

*****

---

**(١) تفسير البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، ١/ ٧٠.**

**(٢) دلالات التراكيب دراسةٌ بلاغيَّةٌ، د/ محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة– القاهرة، ط٣، ١٤٢٥هـ– ٢٠٠٤م، صـ٨٠– ٨١.**

**ثالثًا: الآيات التي تُركِّزُ على التَّسبِيح تعظيمًا لقدرة الله وخلقه:**

قال الله – تعالى–:

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾[آل عمران: ١٩١].

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١].

﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾[يس: ٣٦].

﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾[الزخرف: ١٣].

فلفظةُ "سُبْحَانَ" هنا تعبيرٌ عن الإجلالِ لقدرةِ اللهِ الخلَّاقة والمدبِّرة، ففي آية «آل عمران» ترتبط بالتفكُّر في الخلق، وفي سورة «الإسراء» تُعظِّم معجزةَ الإسراء، بينما في سورة «يس» تبرز تنوُّعَ الخلقِ، وفي سورة «الزخرف» تشير إلى التَّسْخير، وفيها « تنزيهُ وتقديسُ الواحدِ الأحدِ، وإقرارٌ بالنعمةِ، وتذلُّلٌ، وضراعةٌ، وإقرارٌ بالعجزِ، وأنَّ نعمَه – سبحانه– الشَّأنُ فينا أنَّنا لولا تسخيره ما كُنَّا قادرينَ على الانتفاعِ بها»[(١)].

وتتميَّزُ الحكمةُ البلاغيَّةُ لورود "سُبْحَانَهُ" منفردةً في هذه الآيات أنَّ الانفرادَ يُسلِّطُ الضوءَ على الفعلِ الإلهيِّ بذاتِهِ، داعيًا المتلقي للتأمُّل في عظمةِ اللهِ دون تشتيتِ الانتباهِ بتفاصيلَ إضافيَّةٍ.

*****

**رابعًا: الآياتُ التي تُركِّزُ على التَّسْبيحِ استغفارًا وتوبةً:**

(١) آل حم (الشورى– الزخرف– الدخان) دراسة في أسرار البيان، صـ٢٨٣، ٢٨٤.

قولـــه – تعـــالى-:﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [القلم: ٢٩].

إن لفظةَ "سُبْحَانَكَ" في هذه الآيات تأتي كمقدمةٍ للتوبة، معبرةً عن الإقرارِ بالذنبِ من كلٍّ من: (موسى، يُونُس، المؤمنين)، فالتركيبُ يجمع بين التَّنْزيه والتذلُّل، ممَّا يعكسُ حالةَ الندمِ والعودةِ إلى الله، وتتميَّزُ الحكمةُ البلاغيَّةُ لورود "سُبْحَانَ" منفردةً في هذه الآيات أنَّ الانفرادَ يُبرزُ التنزيهَ كمدخلٍ للاستغفار، معزِّزًا الشعورَ بالفجوةِ بين كمالِ اللهِ وضعفِ العبدِ.

*****

**خامسًا: الآياتُ التي تُركِّزُ على التَّسْبيح ردًّا على الافتراءات الباطلة:**

قوله – تعالى-:

﴿مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦].

﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الفرقان: ١٨].

"سُبْحَانَكَ" هنا ردٌّ فوريٌّ على الافتراء (الإفك، الشرك)، معبرةٌ عن الرَّفض والاستنكار بقوةٍ وسرعةٍ، وتتجلَّى الحكمةُ البلاغيَّةُ لوردِ "سُبْحَانَهُ" منفردةً في هذه الآيات أنَّ الانفراد يُعزِّزُ الحسْمَ في دحضِ الباطل؛ ممَّا يجعلُ التَّسبيحَ نقطةَ انطلاقٍ لتأكيد الحقِّ.

**سادسًا: الآياتُ التي تُركِّزُ على التَّسبِيحِ تأكيدًا للعقيدةِ والوحدانيَّة:**

**قوله – تعالى–:**

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[يوسف: ١٠٨].

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[المؤمنون: ٩١].

﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[الصافات: ١٥٩].

"سُبْحَانَ اللهِ" تُؤَكِّدُ الوحْدانيَّة، وتنفي الشركَ أو الوصفَ الباطلَ، مع إبرازِ كمالِ اللهِ وربوبيَّته، وتتجلَّى الحكمةُ البلاغيَّةُ لورود "سُبْحَانَهُ" منفردةً في هذه الآيات أنَّ الانفرادَ يُعزِّز التنزيهَ كأساسٍ عقديٍّ، داعيًا إلى التفكرِ في عظمةِ الله بعيدًا عن أوهامِ المشركين، «أي فسبِّحُوه سبحانه اللائقَ به، ونزِّهُوه عمَّا لا يليقُ به من الأمور التي من جُملتها أن يكون له شريكٌ في الألوهيَّة»[(١)].

إنَّ ورود "سُبْحَانَ" بصيغها المختلفة (سُبْحَانَ اللهِ، سُبْحَانَكَ، سُبْحَانَهُ) منفردةً في القرآن يعكسُ عبقريَّةً بلاغيَّةً تجمعُ بين الإيجاز والعمق، سواءٌ كانت للتَّنزيهِ عن النَّقائص،

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ١٤٣١هـ، ٦/ ٦٢.

أو التعظيم للخلق، أو التوبة، أو الردِّ على الباطل، أو تأكيد الوحدانيَّة، فإنَّها تحملُ دلالاتٍ متعددةً تتَّسِمُ بالقوَّةِ والاستقلاليَّةِ، هذا الاستخدامُ يُبرزُ مرونةَ اللغةِ القرآنيَّةِ وقدرتَها على التعبيرِ عن المفاهيم العقديَّة والرُّوحيَّة بأسلوبٍ موجزٍ ومؤثِّرٍ؛ ممَّا يجعلها محورًا للتأمُّل والدِّراسة في الإعجاز البلاغي.

*****

## المبحث الثاني

## دراسة كلمة "تَعَالَى" ودلالاتها البلاغية

**وفيه أربعة مطالب:**

**المطلب الأول: الدَّلالة اللُّغويَّة لمفردة "تَعَالَى" ومعانيها السياقية.**

**المطلب الثاني: الدَّلالات البلاغيَّة لمفردة "تَعَالَى".**

**المطلب الثالث: الدَّلالات السياقيَّة لمفردةِ "تَعَالَى" في القرآن الكريم.**

**المطلب الرابع: سياقاتُ ورودِ "تَعَالَى" في القرآنِ منفردةً.**

*****

## المطلبُ الأولُ

## الدَّلالة اللُّغويَّة لمفردة "تَعَالَى" ومعانيها السِّياقيَّة

كلمةُ "تَعَالَى" من المفردات ذات الدلالاتِ العميقةِ والمعاني الرفيعة في اللُّغة العربية، وقد استُخدمت في القرآنِ الكريمِ بصورةٍ توحي بمقامٍ عالٍ، يجمع بين التنزيهِ والسموِّ والإجلالِ، ويأتي الجذر اللغوي (ع ـ ل ـ و) بمعنى الرِّفعة والسموِّ، وفي صيغة "تَعَالَى" تأتي بمعنى طلب العلوّ، ويُقصد به الوصول إلى درجةٍ أعلى من المقام، أي بلوغ مرتبةٍ عاليةٍ فوق كلِّ ما يُمكن أن يُدرَك أو يُشبَّه، وقد أُضيفت "التاء" إلى كلمة "علا" للدَّلالةِ على المبالغة في العلوِّ ورفعةِ المقامِ، وكثيرًا ما يرتبط هذا الجذرُ بمقامِ الله –عزَّ وجلَّ– وصفاته في التعبيرات العربيَّة والقرآنيَّة؛ للدلالة على الكمال المطلق، أي: إنَّ اللهَ مُتَعَالٍ بذاتِهِ وصفاتِهِ دون حاجةٍ إلى غيرِهِ.

وكلمةُ "تَعَالَى" فعلٌ ماضٍ، ومصدره "التَّعَالِي"، و(التَّعَالِي: مصدرٌ على وزن "التَّفَاعُل"، ومعناه: الارتفاع، وأصله: "التَّعَالُو"، فاقتضى القياس الصرفيُّ إبدال ضمَّةِ الحرف الرابع كَسرةً في المصدر وجوبًا، فصار "التَّعَالِو"، واقتضى – أيضًا– قلب الواو ياءً؛ لتطرُّفها إثر كسرةٍ، فصار "التَّعَالِي"، وقد حدث فيه وفيما أشبَهَه من المصادر المعتلة اللام كـ "التداني، والتغالي" هذا التغييرُ)[1]، وهو «قلبُ الواوِ طرفًا بعد ضمَّةٍ في كلِّ متمكنٍ ياءً، فتُقلبُ الضمةُ كسرةً كما انقلبت في: الترامي والتجاري، فيصير من باب

---

[1] من دقائق العربية (تَعَالَوْا) بفتح اللام و(تَعَالُوا) بضمها، د/ أحمد عيد عبد الفتاح الأزهري، مقال منشور على الشبكة العنكبوتيَّة، موقع الألوكة، بتاريخ: ٢٠/ ٨/ ١٤٣٨هـ، ١٧/٥/ ٢٠١٧م.
https://www.alukah.net/literature_language/٠/١١٦٢٦٤/.

قاضٍ»[١]؛ (إذ لو بقيت الواو على أصلها لأدَّى ذلك إلى عدم النظير في اللغة العربية؛ لأنَّه لا يوجدُ فيها اسمٌ معربٌ آخره واوٌ قبلها ضمةٌ أصليةٌ، فـ "التعالي" مصدرُ الفعلِ غير الثلاثي، وهو مأخوذٌ من مصدر الثلاثي المجرد، وهو "العُلوُّ"، ووزنه: "الفُعُول"، فلامُ الكلمةِ واوٌ)[٢]، وهذا الفعلُ يحمل في طيَّاتِهِ معانيَ متعددةً، منها:

- **الارتفاع والعلوّ**: تدلُّ كلمة "تعالى" على معنى العلوِّ والارتفاع، سواء كان حسيًّا أم معنويًّا، يُقال: "تَعَالَى البناءُ" أي: ارتفع، و"تَعَالَى شأنُهُ" أي: علا قدرُهُ، قال ابنُ فارسٍ: «العينُ واللامُ والواوُ أصلٌ يدلُّ على السموِّ وارتفاعِ المنزلةِ»[٣]، فلفظة "تَعَالَى" تدلُّ على السُّمُوِّ الذي لا يساويه سموٌّ آخرُ، وهي تأتي في وصفِ الله — تعالى- بمعنى ارتفع وعلا، وتنزَّه وتقدَّس، وتكبَّر وتعظَّم[٤]، «فالله -عزَّ وجلَّ- هو العَلِيّ المتَعالي العَالِي الأَعْلى ذو العُلا والعَلاء والمعالي،... ارتفع فتنزه عن إفك المفترين ووساوس المتحيرين»[٥] جلَّ عَن كُلِّ ثناءٍ، فهو أعظمُ وأجلُّ وأعلَى مما يُثنَى عليه، لَا إله إلَّا الله وحده لَا شريك له، والله تعالى هو «العليُّ بالاقتدار ونفوذ السلطان، والعليُّ عن الأشباه والأمثال،... والعليُّ هو الذي لا يجوز أن يُشَارَكَ في عُلُوِّهِ»[٦].

---

(١) شرح شافية ابن الحاجب، حسن بن محمد بن شرف شاه الحسيني الأستراباذي، ركن الدين (ت ٧١٥هـ)، تحقيق: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، د.ت، ٣/ ١٦٨.

(٢) من دقائق العربية (تَعَالَوْا) بفتح اللام و(تَعَالُوا) بضمها، د/ أحمد عيد عبد الفتاح الأزهري.

(٣) مقاييس اللغة، (ع ل و).

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، د.ت، (ع ل و).

(٥) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، د. محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب– القاهرة، ط١، ٢٠١٠م، ٣/ ١٥٠٩.

(٦) تفسير الماوردي، ١/ ٣٢٦.

- **التنزُّه والتباعد عن النقائص:** يُستخدم هذا المعنى غالبًا في وصف الله – سبحانه وتعالى– حيث يُقال: " اللهُ تَعَالَى" أي تنزَّه عن كلِّ نقصٍ وعيبٍ(١)، وذكر ابنُ منظور أنَّ "تَعَالَى" تعني "ارتفع وعلا"، وأشار إلى استخدامها في وصف الله تعالى بمعنى التنزُّه والتباعُد عن النقائص، كما ذكر استخدامها بمعنى التكبُّر والتعظُّم(٢)، فـ "تَعَالَى" تعني العلوَّ والتنزُّهَ المطلقَ عن كلِّ نقصٍ أو شريكٍ، وهذا ما يُميِّزُها عن مجرَّدِ العلوِّ الحسيِّ أو النسبيِّ.

*****

كلمة **"تَعَالَى"** ودلالاتها البلاغية مقارنةً بـ **"عَلَى"**:

تعدُّ كلمة "تَعَالى" بين الكلمات التي تحمل أبعادًا عميقةً في الاستخدام اللغويِّ والدينيِّ، فهي تُستخدم غالبًا في سياقاتٍ تتعلَّق بالرفعة والسمو المطلق، خاصةً عند وصفِ الله – سبحانه وتعالى– وفي المقابل تأتي كلمة "عَلَى" كحرف جرٍّ يحمل معاني متعددةً، منها: الارتفاع، والتفوق، لكن بطابعٍ نسبيٍّ يعتمد على السِّياق.

ومن ناحية الاشتقاق اللغوي فإنَّ "تَعَالَى" فعلٌ ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، مشتقٌّ من الجذر "عَلَو"، الذي يدلُّ على الارتفاع والسموِّ، وهو من تفاعَل، الذي يتضمن معنى الارتفاع الذاتي الذي لا يحتاج إلى مقارنةٍ أو مقابلٍ، مما يعكس استقلاليَّة الرفعةِ، وتُستخدم "تَعَالَى" غالبًا كصفة لله –عزَّ وجلَّ–، كما في قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [سورة الجن: ٣]، أو ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة النحل: ٣] هنا تُعبِّر الكلمةُ عن التنزيهِ المطلقِ

(١) القاموس المحيط، (ع ل و).

(٢) لسان العرب، (ع ل و).

والرفعةِ الَّتي لا حدود لها، سواءٌ في الذات أم الصفات، وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة الحشر: ٢٣]، هنا تُبرز "تَعَالَى" تنزيهَ الله عن أيِّ شريكٍ أو نظيرٍ، مع تأكيدِ الرفعة المطلقة التي لا تُقاس، والخلاصة إنَّ "تَعَالَى" تحمل طابع التأكيدِ على العلوِّ المطلقِ الذي يفوق كلَّ المقاييس البشرية أو المادِّيَّة، وتُظهر السموَّ الذاتيَّ الذي لا يقبل النسبيَّة، فهي تعبيرٌ عن علوٍّ غيرِ مشروطٍ ولا يرتبط بمقارنةٍ مع غيره، هذا الاستخدامُ يجعلها أداةً بلاغيَّةً للتعظيمِ والتنزيه.

أما "عَلَى" فهي حرفُ جرٍّ مشتقٌّ من الجذرِ نفسِهِ "عَلَوَ"، لكنَّه يأتي في صيغة أداةٍ وظيفيةٍ تُستخدم للدَّلالة على العلاقاتِ بين الأشياء، ومن معانيه الأساسيَّة: الاستعلاء[1]، وما يتفرَّع عنه من معاني: الارتفاع، والتفوق، أو المكانة فوق شيءٍ آخر، على عكس "تَعَالَى"، فإنَّ "عَلَى" تحتاج إلى متعلَّقٍ (مفعولٍ أو ظرفٍ) لتكتمل دلالتُها؛ مما يجعل معناها نسبيًّا، وتظهر "عَلَى" في سياقاتٍ متعددةٍ، مثل: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [سورة مريم: ٥٧]، حيث تدلُّ على رفعةٍ نسبيَّةٍ مرتبطةٍ بمكانٍ أو مقامٍ معينٍ، وفي قوله –سبحانه–: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [سورة طه: ٥] تشير "عَلَى" إلى علوٍّ معنويٍّ أو مكانيٍّ بالنسبةِ إلى العرشِ، مع بقاء المعنى في إطارٍ نسبيٍّ يرتبط بالخلق؛ ممَّا يدلُّ على أنَّ "عَلَى" تحمل طابَع النسبيَّة، إذ تعبِّرُ عن الارتفاعِ أو التفوُّق بالنسبةِ إلى شيءٍ آخر، هذا يجعلها أقلَّ تجريدًا وأكثرَ ارتباطًا بالسِّياقِ المادِّيِّ أو المعنويِّ المحدَّدِ، والثابت أنَّ "عَلَى" –كحرف جرٍّ– لا يخضع للتصريف الزمنيّ، لكنَّه يعتمد على

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري، تحقيق: د/ عبد اللطيف محمد الخطيب، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط١، ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م، ٢/ ٣٧٢.

الفعل المرتبط به لتحديد الزمن، و"اسْتَوى" (فعلٌ ماضٍ) يُعطي دلالة الثبات، لكنَّ "عَلَى" نفسَها تظلُّ تعبيرًا عن علاقةٍ مكانيَّةٍ أو معنويَّةٍ نسبيَّةٍ.

وللمقارنة بين الكلمتين بصورةٍ بلاغيَّةٍ نجد أن "تَعَالَى" فعلٌ ماضٍ يحملُ معنًى مستقلًّا ومطلقًا، لا يحتاج إلى متعلقٍ ليكتملَ معناه، مما يجعلُ دلالَتَها أكثرَ تجريدًا، بينما "عَلَى" حرفُ جرٍّ يعتمدُ علَى متعلَّق لإكمالِ معناهُ، فهو مع مجرورِهِ قيدٌ في التركيب يزيد في تربية الفائدة، كذلك فإنَّ "تَعَالَى" تعبِّرُ عن حالةٍ ذاتيَّةٍ ثابتةٍ، بينما "عَلَى" تصف علاقةً بين شيئين أو أكثرَ، أضف إلى ذلك فإنَّ "تَعَالَى" تدلُّ على الرِّفعةِ المطلقة التي لا تقبل القياسَ أو الحدَّ، وهي غالبًا مرتبطةٌ بالتنزيه الإلهيّ، كما في قوله –عزَّ وجلَّ–:

﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[سورة الأنعام: ١٠٠]، أمَّا "عَلَى" فتدلُّ على رفعةٍ نسبيَّةٍ، مثل﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[سورة طه: ٥]، حيث تُشير إلى العلوِّ في سياقٍ معينٍ أو بالنسبةِ إلى الكونِ.

وأخيرًا فإنَّ "تَعَالَى" تُستخدم لإثارة الرهبة والتَّعظيم في النَّفس، وهي تحملُ طابَعًا تجريديًّا يسمو فوق التصوُّرات المحدودة، أمَّا "عَلَى" فتُستخدم لتوضيح العلاقات أو التفوُّق في سياقاتٍ محدَّدةٍ، ممَّا يجعلُها أكثرَ عمليَّةً وأقلَّ تجريدًا.

نخلص من هذه المقارنة أنَّ "تَعَالَى" تتفرَّد بمعنى الرِّفعة المطلقة التي تعبِّر عن السموِّ الذاتيّ والتنزيه التَّامّ، مما يجعلها أداةً بلاغيَّةً قويةً في التعظيمِ والتجريدِ، وفي المقابل فإنَّ "عَلَى" أداةٌ تعبّر عن الارتفاعِ النسبيّ الَّذِي يعتمدُ على السِّياقِ وعلاقةِ الأشياءِ ببعضِها، هذا الفرق يعكس الدقَّةَ العاليةَ في لغةِ القرآنِ وقدرتِها على التمييز بين المعاني الدقيقة.

*****

## المطلب الثاني

## الدَّلالات البلاغيَّة لمفردة "تَعَالَى"

تُعتبر مفردة "تَعَالَى" واحدةً من الكلمات القرآنية التي تحمل دلالاتٍ بلاغيَّةً عميقةً تعكس علوَّ الله – تعالى- وقدرته المطلقة، وتُستخدم هذه الكلمة في القرآن الكريم للتعبير عن رفعة الله وتنزيهه عن كلِّ نقصٍ أو شائبةٍ، وتؤكد على كمال صفاته وأفعاله، بل وتُعدُّ مثالًا بليغًا على الإيجاز والعُمق في اللغة القرآنية، فهي تجمع بين الإيجاز في التركيب اللغوي والعمق في المعنى الدَّلالي، مما يجعلها أداةً قويَّةً في التعبير عن عظمة الله وكمالِهِ، فيترك أثرًا عميقًا في النفس البشرية.

ويمكن قراءة الدلالات البلاغيَّة لمفردة **"تَعَالَى"** من خلال ما يأتي:

**أولًا– الإيجاز:** لعلَّ من أبرز السِّمات البلاغيَّة لمفردة "تَعَالَى" أنَّها تجمع بين الإيجاز والعمق في التعبير عن معانٍ جليلةٍ، عظيمةِ القدْر، وتحمل معنًى شاملًا يُغني عن الإطالة، حيث تُضيف بُعدًا مهيبًا دون الحاجة إلى تفصيلٍ إضافيٍّ؛ ممَّا يجعلها أداةً قويَّةً في اللغة القرآنية؛ لإيصالِ رسائلَ عظيمةٍ بأقلِّ عددٍ من الكلمات، ورغم سهولةِ التركيبِ اللغويِّ لكلمة "تَعَالَى" فإنَّها تحمل دلالاتٍ عميقةً تجمع بين الإيمان بالله وتعظيمه، وهذا ما يُميِّز اللغةَ القرآنيَّةَ، فهي تختزلُ معانيَ جليلةً مثل: العلوِّ، والكمال، والتَّنزيه، مما يجعلها أداةً بلاغيَّةً قويَّةً. نجد ذلك حاضرًا في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤٣]، « أَيْ تَعَالَى أَكْمَلُ عُلُوٍّ لَا يَشُوبُهُ شَيْءٌ مِنْ جِنْسِ مَا نَسَبُوهُ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ الْمُنَافَاةَ بَيْنَ اسْتِحْقَاقِ ذَاتِهِ وَبَيْنَ نِسْبَةِ الشَّرِيكِ لَهُ وَالصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ بَلَغَتْ فِي قُوَّةِ الظُّهُورِ إِلَى حَيْثُ لَا تَحْتَاجُ إِلَى زِيَادَةٍ لِأَنَّ وُجُوبَ الْوُجُودِ وَالْبَقَاءِ يُنَافِي آثَارَ الِاحْتِيَاجِ

وَالْعَجْزِ»[١]، هنا كلمة "تَعَالَى" جاءت بشكلٍ موجزٍ، ولكنها تُعبِّرُ عن علوِّ الله المطلق وتنزيهِهِ عن كلِّ نقصٍ أو شائبةٍ، فبدلًا من استخدام جملٍ طويلةٍ لوصفِ علوِّ اللهِ وقدرتِهِ، تكفي كلمة "تَعَالَى" لتلخيص هذه المعاني، هذا الاختصار يعكس قوَّةَ البلاغة القرآنية في إيصال المعاني الكبرى بأسلوبٍ موجزٍ، والإيجاز في كلمة "تَعَالَى" لا يعني سطحيَّة المعنى، بل على العكس فإنَّه يفتح المجال أمام القارئ للتأمُّل في عظمة الله وكماله، فكلمة "تَعَالَى" تُثير في النفس البشرية مشاعرَ الخشوعِ والتعظيمِ؛ مما يجعلها أداةً بلاغيَّةً عميقةَ الأثرِ.

**ثانيًا– العمق الدلالي:** على الرغم من إيجاز كلمة "تَعَالَى"، فإنَّها تحمل معانيَ بليغةً تشمل العلوَّ المكانيَّ (أي: ارتفاع الله فوق خلقه)، والعلو المعنوي (أي: كمال صفات الله تعالى وأفعاله)، والتنزيه المطلق (أي: تنزيه الله عن كلِّ شائبةٍ)، فكلمة "تَعَالَى" تجمع بين علوِّ الله وقدرتِهِ وكمالِهِ، مما يجعلها تعبيرًا شاملًا يتجاوز الحدود المادية إلى المعاني الروحية والمعنوية. نرى ذلك واضحًا في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] «أي الَّذي لا رتبةَ فوقَ رتبتِهِ، وجميع المراتبِ مُنحطَّةٌ عنهُ، وكلُّ ما له الفوقيَّة في الرُّتبةِ فله العلوُّ في الرتبةِ،... فاللهُ هو العليُّ المطلقُ الذي له الفوقيَّةُ، لا بالإضافةِ، وبحسبِ الوجوبِ، لا بحسبِ الوجودِ الذي يقارنه إمكان نقيضه»[٢]، فكلمة "تَعَالَى" تُشير إلى علوِّ الله في صفاته وأفعاله، وهو عمقٌ يتجاوزُ مجردَ الوصف الماديّ.

---

[١] تفسير التحرير والتنوير، ١٥/ ١١٣.

[٢] المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥ هـ)، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، الناشر: الجفان والجابي– قبرص، ط١، ١٤٠٧هـ–١٩٨٧م،، ٨٦ وما بعدها بتصرف.

إنَّ الأثرَ البلاغيَّ للإيجازِ والعمقِ لمفردة **"تَعَالَى"** يترك أثرَه في نفس القارئ من خلال:

– **التذكير بعظمة الله**، فالإيجاز يجعلها سهلةَ التذكُّر، بينما العُمق في معناها يُثير في النفس البشرية مشاعر الخشوع والتعظيم.

– **الدعوة إلى التفكُّر**: فالإيجاز يفتح المجال أمام القارئ للتفكير في المعاني العميقة التي تحملها الكلمة، على سبيل المثال عندما يقرأ الإنسان كلمة "تَعَالَى"، فإنه يبدأ في التأمل في علوِّ الله وقدرتِهِ، إذ من فوائد الإيجاز «زيادةُ لذَّةٍ تُسبِّبُ استنباطَ الذهن للمحذوف، وكلَّما كان الشعورُ بالمحذوفِ أعسرَ كان الالتذاذُ بهِ أشدَّ وأحسنَ»[1].

– **الطمأنينة الرُّوحيَّة**: فالتسبيحُ والتنزيهُ من أعظم العبادات التي تمنح المؤمن الطمأنينة والسكينة، والإيجاز في كلمة "تَعَالَى" يجعلها سهلة الاستخدام في الذكر والدعاء.

* * *

**ثالثًا: دلالة "تَعَالَى" كفعلٍ ماضٍ**: الفعل الماضي يدلُّ على حدثٍ تمَّ وانتهى في زمنٍ مضى، مما يمنحه طابعَ التحقُّقِ واليقينِ، وبلاغيًّا يُستخدم الفعل الماضي للإشارة إلى حقائق ثابتة أو أمور محققة لا تقبل التغيير، وهذا يتناسبُ مع السياقات التي تُستخدم فيها "تَعَالَى"، خاصةً في وصفِ الله –سبحانه وتعالى– واستخدام "تَعَالَى" في صيغة الماضي يحقِّقُ دلالاتٍ بلاغيَّةً متعددةً منها:

**– تحقُّق الوقوع**: تُشير مفردة "تَعَالَى" بصيغة الماضي إلى أنَّ العلوَّ والرفعةَ صفةٌ ذاتيَّةٌ وأزليَّةٌ لله، ليستْ طارئةً أو متغيِّرةً، وكما ذكر في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا

---

(١) **البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: د/ يوسف عبد الرحمن المرعشلي وآخرون، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٠هـ– ١٩٩٠م، ٣/ ١٧٦.**

﴿ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾[سورة الجن: ٣]، «أي انْتَهى في العُلُوِّ والِارْتِفاعِ إلى حَدٍّ لا يُسْتَطاعُ ﴿جَدُّ﴾ أيْ عَظْمَةٌ وسُلْطانٌ وكَمالُ غِنًى ﴿رَبِّنا﴾ أي المُوجِدِ لَنا والمُحْسِنِ إلَيْنا، وإذا كانَ هَذا التَّعالِي لِجَدِّهِ فَما بالُكَ بِهِ»[(١)]، فإنَّ "تَعَالَى" هنا تؤكِّد أنَّ هذا العلوَّ ليس حدثًا مؤقتًا أو مرتبطًا بظرفٍ معيَّنٍ، بل هو حقيقةٌ واقعةٌ متأصِّلةٌ في ذاتِ اللهِ، هذا التَّحقُّقُ يعزِّزُ الدلالة البلاغيَّة للتعظيم، حيث يُوحي بأنَّ الرفعةَ ليست نسبيَّةً أو مشروطةً، بل هي مطلقةٌ وممتدةٌ عبر الزمن.

– **اليقين في التنزيه**: الفعل الماضي يحمل دلالة التحقق واليقين، وهو ما يتناسب مع وظيفة "تَعَالَى" في التنزيه في قوله تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الأعراف: ١٩٠]، فإنَّ استخدامَ الماضي يؤكِّدُ أنَّ الله منزهٌ عن الشرك تنزيهًا تامًّا وحاسمًا، لا مجال فيه للشك أو التردُّد، بل ويضيف هذا التصريف قوةً للمعنى؛ إذ يجعل التنزيه أمرًا منجزًا ومؤكدًا، مما يثير في النفس شعورًا بالرهبة والإجلال والإذعان.

– **الإيجاز والحسم**: اختيار صيغة الفعل الماضي "تَعَالَى" بدلًا من صيغة مضارعة مثل "يتعالى" يعكس الإيجاز، وهو من أبرز سمات البلاغة العربية، فالفعل الماضي يختصر الزمن، ويجعل المعنى شاملًا للماضي والحاضر والمستقبل، دون الحاجة إلى تكرارٍ أو تفصيلٍ. وبالمقارنة مع دلالة المضارع المفترضة، نجد أنَّه لو استخدمت صيغة المضارعة "يتعالى"، لأشارت إلى استمرارية العلوّ أو تكراره في سياقٍ معيَّنٍ، مما قد يوحي بحدوثٍ متجددٍ أو علوٍّ مرتبطٍ بحدثٍ معيَّنٍ، لكنَّ هذا قد يُضعف من المطلقية التي تحملها "تَعَالَى"؛ إذ يجعل الرفعةَ تبدو كعمليَّةٍ مستمرَّةٍ بدلًا من صفةٍ ذاتيَّةٍ ثابتةٍ.

---

(١) **نظم الدرر، للبقاعيّ، ٢٠/ ٤٦٧.**

إنَّ تصريفَ "تَعَالَى" في صيغة الفعل الماضي يُعزِّز دلالتها البلاغية بإضفاء طابع الثبات واليقين والمطلقيَّة على معنى الرفعة والتنزيه، فالفعل الماضي في "تَعَالَى" يحمل في طياته قوةً بلاغية تؤَكِّدُ الأزلية والدَّوام، مما يجعلها أنسبَ للتعبير عن العلوِّ الإلهيِّ المطلق، بينما تظل "عَلَى" أداةً تصويريَّةً تخدم العلاقات النسبيَّة في الخطاب.

**– الصيغة الصرفية :**

جاءتْ كلمة "تَعَالَى" بصيغة "تفاعل"، وهي صيغةٌ تستخدم في اللغة العربية غالبًا للدَّلالة على المشاركة أو المبالغة في الفعل، وتأتي أيضًا للدلالة على أن الفعل قد بلغ أقصى مداه؛ «والتعالي تفاعلٌ، أمَّا في الشَّاهدِ والأجرامِ فهو من اثنين؛ لأنَّ الإنسان إذا صعد في منزله أو في جبلٍ فكأنَّ ذلك يُعالِيهِ، وهو يُعالِي ويرتَقي، وأمَّا في ذكرِ اللهِ – تعالى– فالتعالي هو بالقدر لا بالإضافة إلى شيءٍ آخرَ»[1]؛ لذا فإنَّ صيغةَ "تَعَالَى" هنا تدلُّ على علوٍّ لا يبلغه أحدٌ، وسموٍّ لا يمكن أن يصل إليه أيُّ شيءٍ، وفي هذا إشارةٌ واضحةٌ إلى كمال الله المطلق وعلوِّه المتفرد.

**رابعًا– التوكيد والتنزيه:** يمكن الجزم بأن مفردة "تَعَالَى" تُعد مثالًا بليغًا على التوكيد والتنزيه في اللغة القرآنية، فهي تجمع بين التوكيد على علو الله وقدرته والتنزيه عن كل نقص أو شائبة، مما يجعلها أداة قوية في التعبير عن عظمة الله وكماله، هذا الجمع بين التوكيد والتنزيه يعكس قوة البلاغة القرآنية في إيصال رسائل عظيمة بكلماتٍ قليلةٍ، مما يترك أثرًا عميقًا في النفس البشرية.

وتأتي كلمة "تَعَالَى" غالبًا في سياقاتٍ تؤكد علوَّ الله وكمالَه وقدرتَه المطلقة، وتنزيهَه عن كلِّ نقصٍ أو شائبةٍ، مما يجعلها أداةً قويةً للتوكيد، تُبرز التوحيد والإيمان بالله، ففي

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز= تفسير ابن عطية، ٣/ ٤٥٩.

سورة النحل: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [النحل:٣] جاءت كلمة "تَعَالَى" تؤكد علوَّ الله في صفاته وأفعاله، أي «تَعالَى وتقدَّسَ بذاتِهِ وأفعالِهِ عن إشراكِهِم»[١]، وفي قوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا﴾ [الإسراء: ٤٣] أتت مفردة "تَعَالَى" تؤكِّدُ علوَّ اللهِ وتنزيهَهُ عن الافتراءات البشريَّة.

* * *

**خامسًا– التكامل بين كلمة "تَعَالَى" وكلماتٍ أخرى:** يمكن الجزم بأنَّ مفردة "تَعَالَى" تُعدُّ من الكلمات القرآنية التي تحمل دلالاتٍ بلاغيَّةً عميقةً تعكس علوَّ الله تعالى وقدرته المطلقة، لعلَّ من أبرزِ السِّمات البلاغيَّة لهذه الكلمة أنَّها تتكامل مع كلماتٍ أخرى في النصوصِ القرآنيَّةِ؛ لتُبرزَ معانيَ جليلةً وتعزّز المعنى العام للآيات، يمكن دراسة هذه السمة البلاغيَّة من خلال التركيز على كيفية ارتباط كلمة "تَعَالَى" بعباراتٍ أو كلماتٍ أخرى، واستخداماتها المختلفة في النصوص القرآنية، ولعل هذا التكامل يعكس قوة البلاغة القرآنية في إيصال رسائلَ عظيمةٍ بكلماتٍ قليلةٍ، مما يترك أثرًا عميقًا في النفس البشرية.

**– التكامل مع كلمة "سُبْحَانَهُ" في سياقات التنزيه:**

كلمة "سُبْحَانَهُ" تُستخدم للدلالة على التنزيه والتطهير، بينما كلمة "تَعَالَى" تُستخدم للدلالة على العلوِّ والرِّفعة، وعندما تأتي الكلمتان معًا، فإنهما تُشكِّلان تعبيرًا متكاملًا يجمع بين التَّنزيهِ والعلوِّ، وتتجلَّى قيمة هذه الإضافة في قوله عز وجل: ﴿وَيَعۡبُدُونَ

[١] تفسير الألوسي روح المعاني، ٧/ ٣٤٠.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[يونس: ١٨]، «أي تنزَّه عن كلِّ شائبةِ نقصٍ تنزهًا لا يُحاطُ به، وتعالى: أي وفعل بما له من الإحاطةِ بأوصافِ الكمالِ فعلَ المبالِغ في التنزُّه عمَّا يُشركون أي يُوجدون الإشراكَ بهِ»[(١)]، فكلمة "سُبْحَانَهُ" هنا تؤكِّدُ تنزيهَ الله عن كلِّ نقصٍ أو شائبةٍ، بينما كلمة "تَعَالَى" تؤكِّد علوَّه ورفعتَه، هذا التكامل يجعلُ العبارةَ أكثرَ قوةً وتأثيرًا، حيث يجمع بين التنزيهِ المطلق والعلوِّ المطلق.

ومن مجيئها في سياقات التنزيه عن الشريك والولد، قوله –عزَّ وجلَّ–:﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[الأنعام: ١٠٠]، «أي تقدَّس وتنزَّه وتعاظم عمَّا يصفه هؤلاءِ الجهلةُ الضالُّونَ من الأولادِ والأندادِ، والنُّظراءِ والشُّركاءِ»[(٢)]، هنا كلمة "تَعَالَى" تؤكد تنزيه الله عن الشريك والولد، وعلى ذلك فإنَّ هذا التلازم يعزِّز المفهومَ العقديَّ والتنزيهيَّ، ويوضِّح أنَّ العلوَّ الإلهيَّ متكاملٌ مع تنزيه الذات الإلهيَّة عن كل نقصٍ؛ ممَّا يجعلُ العبارةَ أكثرَ قوة وبلاغة.

– **التكامل مع سياقات القدرة:** غالبًا ما تأتي مادة "تَعَالَى" في سياقات القدرة والسيطرة على الكون، ففي قوله عز وجل:﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾

(١) نظم الدرر، ٩/ ٩٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣/ ٣٠٨.

[البقرة:٢٥٥]، و«العليُّ الفَعِيلُ من قولك: "عَلَا يَعْلُو عُلُوًّا"، إذا ارتفع، "فهو عالٍ وعليٌّ"، "والعليُّ" ذو العلوِّ والارتفاعِ على خلقِهِ بقدرتِهِ»(١)، وكلمة "العليّ" تُعزِّز معنى القدرة والسيطرة، وهو ما يجعل هذا التكامل يُبرز قدرةَ الله وسيطرتَهُ على الكون؛ ممَّا يجعل العبارة أكثر قوةً وأعظم أثرًا، فيزيد من إيمان الإنسان ويقينه، ويعزّز العقيدة الإسلامية، ويؤكّد الصفات الإلهيَّة الجليلة.

وأخيرًا إنَّ استقراءَ السياقات المختلفة لهذه المفردة يُبرز العمقَ اللُّغويَّ والبلاغيَّ للنصِّ القرآنيِّ، ممَّا يستدعي مزيدًا من البحثِ والتأمُّلِ في هذا الحقلِ.

****

## المطلب الثالث

## الدلالاتُ السِّياقيَّة لمفردة "تَعَالَى" في القرآن الكريم

تعتبر مفردة "تَعَالَى" إحدى المفردات القرآنية التي تنطوي على دلالاتٍ عميقةٍ تتجاوز المعنى الظاهريَّ، وتبرز أهميتها في سياقاتٍ متعددةٍ تصفُ ذاتَ الله – تعالى– وصفاته الجليلة، ويُفهم من كلمة "تَعَالَى" في اللغة معنى التنزُّهِ والسموِّ عن النَّقائص، وهو استخدامٌ يظهر جليًّا في الخطاب القرآني، ومن هذه الدلالات الواردة في الذكر الحكيم:

**أولا– التعالي بمعنى العلو المطلق في القدرة والملك:**

إنَّ كلمة "تَعَالَى" في اللغة العربية تفيد الرفعة والسمو، لكنها ليست مجرد ارتفاعٍ ماديٍّ أو حسيٍّ، بل هي دالةٌ على العلوِّ المطلق الذي يشمل علوَّ الذاتِ والقدر علوًّا مطلقًا، حيث يتجلَّى البعدُ البلاغيُّ في دلالةِ السموِّ الذاتي والإلهي من خلال الاستخدام البديع لمفردة "تَعَالَى"، حيث تُضفي على السياقِ القرآنيّ عمقًا وإيحاءً بقدسيَّةِ الذاتِ

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، ٥/ ٤٠٥.

الإلهيَّةِ، كما أنَّ التكرار لهذه المفردة في مواضع مختلفة يعزِّزُ من إبرازِ المعاني المتعددة للعلوِّ الإلهيِّ، سواءٌ كان ذلك علوَّ الذات، أو علوَّ الصفات، أو علوَّ الأفعال، وهذا المعنى يظهر جليًّا في القرآن الكريم عندما يُوصف الله – جلَّ شأنهُ- بـ ""تَعَالَى"، حيث لا يدلُّ ذلك على مكانٍ أو حدٍّ، وإنَّما على تفرُّدِه بالكمالِ المطلقِ وتنزُّهِهِ عن كلِّ نقصٍ، « فَإِنَّ مِنْ لَوَازِمِ اسْمِ الْعَلِيِّ الْعُلُوَّ الْمُطْلَقَ بِكُلِّ اعْتِبَارٍ، فَلَهُ الْعُلُوُّ الْمُطْلَقُ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ: عُلُوُّ الْقَدْرِ، وَعُلُوُّ الْقَهْرِ، وَعُلُوُّ الذَّاتِ»[1]، قال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ﴾[المؤمنون: ١١٦]، التَّعالي هنا مرتبطٌ بصفاتِ الألوهيَّة والملك والحق، وليس بمكانٍ، أَيْ «تَنَزَّهَ وَتَقَدَّسَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ عَنِ الْأَوْلَادِ وَالشُّرَكَاءِ وَالْأَنْدَادِ، وَعَنْ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا عَبَثًا أَوْ سَفَهًا؛ لِأَنَّهُ الْحَكِيمُ»[2] و "تَعَالَى الله" في هذه الآية تُفيد الاستعلاءَ عن النقصِ، «أي علا الذي له الجلالُ والجمالُ علوًّا كبيرًا عن العبث»[3]، ولعلَّ اختيارها بعد ذكر الملك والعظمة يؤكِّد أنَّ هذا العلوَّ صفةٌ لازمةٌ لا تنفكُّ عن الله –جلَّ شأنُهُ-، وحين تُستخدم كخاتمةٍ تُعزِّز ما سبق من وصفِ الله بـ"العليِّ العظيمِ"، فإنَّ ذلك يجعلها تعبيرًا جامعًا للسموِّ في الذاتِ والصفاتِ.

**ثانيًا– الدلالة على التنزيه عن الشرك:**

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي– بيروت، ط٣، ١٤١٦ هـ– ١٩٩٦م، ١/ ٥٥.

(٢) تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن، ١٢/ ١٥٧.

(٣) نظم الدرر، ١٣/ ١٩٦.

وردت مفردةُ "تَعَالَى" في القرآن الكريم في سياقاتٍ تدلُّ على تنزيه الله سبحانه وتعالى عن الشِّرك، حيث تعبِّرُ عن السموِّ الإلهيِّ الذي ينفي أيَّ شراكةٍ لله في ألوهيَّته أو ربوبيَّته، وتؤدي دورًا محوريًّا في ترسيخ عقيدة التوحيد، حيث تُرسِّخ أنَّ الله – سبحانه وتعالى– متفردٌ بالألوهيَّة، وأنَّ نسبة الشريك إليه تُعدُّ جريمةً عظيمةً تتنافى مع الإيمان الحقِّ.

ومن أبرزِ الآياتِ التي توضِّح هذه الدلالة قوله – تعالى–: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[النحل: ١]، ففي هذه الآية نجد أنَّ "تَعَالَى" ترد بعد "سُبْحَانَهُ"، مما يعكس تنزيهًا مطلقًا لله عن الشركاء الذين يدعيهم المشركون، يتجلَّى هذا الاستخدام في التأكيد على أنَّ الله وحدَهُ هو المستحقُّ للعبادة، وأنَّ نسبةَ الشريكِ إليه انتقاصٌ من مقامه العليِّ، وهذه الجملة ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ «تذييلٌ خُتمتْ به الآية الأولى في سورة النحلِ، هذا التذييلُ هو من السنن البيانيَّة للقرآن الكريم، فغيرُ قليلٍ من آياتِهِ قدْ ذُيِّلَ بهذهِ الجملة، وقدْ جمعَ القرآنُ فيها بين نوعيْن من التنزيه؛ التنزيه عن الشرك، والتنزيه عن العجز، فالتنزيهُ بقوله: "سُبْحَانَهُ" تنزيهٌ عن الشريك، والتنزُّه عن الشريك يلزمهُ التنزُّه عن أن يكونَ العجزُ، فلا تكونُ الشراكةُ إلَّا عن عجزِ الاستيفاءِ، والتنزيهُ بقولِهِ: "تَعَالَى" تنزيهٌ عنِ العجزِ، ومن لم يكن عاجزًا كان هو الواحد الأحد الصمد»[(١)].

وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣] تظهر الدَّلالة على التنزيه عن الشرك من خلال نفي اتخاذ الله صاحبةً أو

(١) المعنى القرآنيّ معالم الطريق إلى فقهِهِ في سياقِ السورة رؤية منهجيَّة ومقاربة تأويليَّة، د/ محمود توفيق محمد سعد، مكتبة وهبة– القاهرة، ط١، ١٤٤٢هـ– ٢٠٢١م، صـ٣٢١–٣٢٢.

ولدًا، وهي عقائدُ أشاعها المشركون وأهل الكتاب، وكلمة "تَعَالَى" هنا تؤكِّدُ سموَّ الله وتنزُّهَهُ وتعاليه وترفُّعَه عن هذه الصفات البشرية، مما يعزِّزُ المفهومَ العقديَّ لوحدانيَّة الله وتنزيهه عن مشابهة المخلوقات.

أما قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠]، فإن هذه الآية تؤكِّد علوَّ الله وتنزُّهه عن الشركاء الذين يُدَّعى أنهم يشاطرونه الألوهية، «أيْ: تَنَزَّهَ اللَّهُ عَنْ إشْراكِهِمْ كُلِّهِ: ما ذُكِرَ مِنهُ آنِفًا مِن إشْراكِ الوالِدَيْنِ مَعَ اللَّهِ فِيما آتاهُما، وما لَمْ يَذْكُرْ مِن أصْنافِ إشْراكِهِمْ، ومَوْقِعُ فاءِ التَّفْرِيعِ في قَوْلِهِ (فَتَعالى اللَّهُ) مَوْقِعٌ بَدِيعٌ؛ لِأنَّ التَّنْزِيهَ عَمّا أحْدَثُوهُ مِنَ الشِّرْكِ يَتَرَتَّبُ عَلى ما قَبْلَهُ مِنَ انْفِرادِهِ بِالخَلْقِ العَجِيبِ، والمِنَنِ العَظِيمَةِ، فَهو مُتَعالٍ عَنْ إشْراكِهِمْ لا يَلِيقُ بِهِ ذَلِكَ، ولَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ بِحَقٍّ، وهو إنْشاءُ تَنْزِيهٍ غَيْرُ مَقْصُودٍ بِهِ مُخاطَبٌ»[(١)].

**ثالثًا– الدلالة على العظمة والقدرة:**

تتجلى دلالة مفردة "تَعَالَى" في سياقات تشير إلى عظمة الله – سبحانه وتعالى– وقدرته المطلقة، حيث تعكس صفة الكمال الإلهي التي تتفرد بها ذاته العليا، وقدرته المطلقة، هذه الدلالة تبرز صفة الملكية المطلقة لله، وأنه الحق الثابت الذي لا يدانيه نقص أو ضعف، كما في قوله –عزَّ وجلَّ–: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾[طه: ١١٤] في هذه الآية يظهر علوُّ الله المطلقُ كملكٍ حقٍّ، تتجسد فيه صفات السيادة المطلقة والحكم الذي لا يقاربه نقص، فكلمة "تَعَالَى" هنا تعبّر عن عظمة الله التي لا يوازيها أيُّ عظمةٍ مخلوقةٍ، «وأنَّهُ المِلكُ الحَقُّ المِدَبِّرُ لِأُمُورِ مَمْلُوكاتِهِ عَلى أتَمِّ وُجُوهِ الكَمالِ وأنْفَذِ طُرُقِ

(١) التحرير والتنوير، ٩/ ٢١٤.

السِّيَاسَةِ، وَفِي وَصْفِهِ بِالْحَقِّ إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّ مُلْكَ غَيْرِهِ مِنَ الْمُتَسَمَّيْنَ بِالْمُلُوكِ لَا يَخْلُو مِنْ نَقْصٍ»[١]، وذكر الفخر الرازي أنَّ هذه الجملة ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ أتت «تَنْبِيهًا عَلَى مَا يَلْزَمُ خَلْقَهُ مِنْ تَعْظِيمِهِ، وَإِنَّمَا وَصْفُهُ بِالْحَقِّ لِأَنَّ مُلْكَهُ لَا يَزُولُ وَلَا يَتَغَيَّرُ، وَلَيْسَ بِمُسْتَفَادٍ مِنْ قِبَلِ الْغَيْرِ وَلَا غَيْرُهُ أَوْلَى بِهِ؛ فَلِهَذَا وُصِفَ بِذَلِكَ، وَتَعَالَى تَفَاعَلَ مِنَ الْعُلُوِّ، وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ عُلُوَّهُ وَعَظَمَتَهُ وَرُبُوبِيَّتَهُ بِمَعْنًى وَاحِدٍ، وَهُوَ اتِّصَافُهُ بِنُعُوتِ الْجَلَالِ، وَأَنَّهُ لَا تُكَيِّفُهُ الْأَوْهَامُ وَلَا تُقَدِّرُهُ الْعُقُولُ، وَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنِ الْمَنَافِعِ وَالْمَضَارِّ، فَهُوَ تَعَالَى إِنَّمَا أَنْزَلَ الْقُرْآنَ لِيَحْتَرِزُوا عَمَّا لَا يَنْبَغِي، وَلْيُقْدِمُوا عَلَى مَا يَنْبَغِي، وَأَنَّهُ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنِ التَّكَمُّلِ بِطَاعَاتِهِمْ وَالتَّضَرُّرِ بِمَعَاصِيهِمْ»[٢]، وعلى ذلك فإنَّ البعدَ البلاغيَّ لدلالةِ العظمةِ والقدرةِ يظهر في اختيار "تَعَالَى" للإشارة إلى تفرُّد اللهِ بالكمالِ، وأنَّ استخدامَ الكلمةِ مع صفاتٍ مثل "الملك الحق" يعكس توازنًا بلاغيًّا بين العلو الذاتي والقدرة العمليَّة.

**رابعًا– الدَّلالة على التنزيه عن مشابهة المخلوقين:**

تتجلَّى الدَّلالة على التنزيه عن الصفاتِ البشريَّة في النصوص القرآنيَّة من خلال استخدام مفردة "تَعَالَى" التي تُشيرُ إلى السموِّ والتنزُّه عن كلِّ ما يختصُّ بالمخلوقاتِ من صفات النقص والحاجة، واستخدام "تَعَالَى" في القرآن دائمًا ما يبرز سموَّ الله الذاتيّ، حيث يعكس الفارق الجوهري بين الله والمخلوقات؛ مما يثبّت في الأذهان أنَّ الله –عزَّ وجلَّ– منزَّهٌ عن كلِّ صفاتِ النقصِ.

وتستخدم "تَعَالَى" في سياق التنزيه كأداةٍ قويةٍ للتعبير عن العلوِّ المطلق لله وتنزُّه الله عن أي صفات نقصٍ، فـ "تَعَالَى" بمعنى ارتفع في ذاته وصفاته عن كلِّ نقصٍ، وتقدَّسَ

---

(١) التحرير والتنوير، ١٦/ ٣١٥.

(٢) مفاتيح الغيب، ٢٢/ ١٠٤.

عن أن يكون له شبيهٌ أو نظيرٌ، هذا الاستخدامُ يتميَّزُ بالجمع بين الإيجاز والتوكيد، مع التناغم مع ألفاظ مثل "سُبْحَانَهُ" و "علوًّا كبيرًا" لإظهار الكمالِ الإلهيّ وتنزيه الله عن مشابهة خلقه.

تفيد "تَعَالَى" معنى العلو المطلق والتنزه الكامل، وهو علوٌّ يختص به الله – سبحانه– دون سواه، لا يحدُّهُ مكانٌ ولا يُقيدُهُ زمانٌ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١]، ويتجلَّى بوضوحٍ التنزيهُ الكاملُ عن الأوصافِ التي ينسبها المشركون إلى الله –عزَّ وجلَّ– في هذه الجملة "تَعَالَى" التي تفيدُ الارتفاعَ عن النقص وعن الصفات البشرية كالضعف والاحتياج، قال الله –عزَّ وجلَّ–: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾[الإسراء: ٤٣]، وجملة "تَعَالَى" هنا تعبر عن تنزيه الله عن الصفات البشرية التي تنسب إليه ظلمًا، مثل: اتخاذ الولد، وهو ما ينافي كماله المطلق، في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾[الجن: ٣]، و"تَعَالَى" في هذا السياق تفيد إثبات الفارق الجوهري بين الله وخلقه، ونفي كلِّ ما يلزم من صفاتِ النَّقص التي تختصُّ بالمخلوقات، كذلك تهدف إلى نفي التصوُّرات الحسيَّة والماديَّة التي قد تُلحَق باللهِ من قِبَل المشبِّهين والمجسِّمين، و«عُلُوًّا مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ عَامِلُهُ تَعَالَى، جِيءَ بِهِ عَلَى غَيْرِ قِيَاسِ فِعْلِهِ؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ التَّعَالِيَ هُوَ الِاتِّصَافُ بِالْعُلُوِّ بِحَقٍّ لَا بِمُجَرَّدِ الِادِّعَاءِ»[1].

*****

[1] التحرير والتنوير، ١٥/ ١١٣.

## المطلب الرابع

## سياقات ورود "تَعَالَى" في القرآن منفردةً

كلمة "تَعَالَى" في القرآن الكريم تحمل أبعادًا بلاغيَّةً عميقةً تعكس مقامَ التنزيه والعلو الإلهي، وتظهر في سياقاتٍ متنوعةٍ تبرزُ جمالَ التعبيرِ القرآنيّ وعظمةَ المعاني التي تحملها، حيث تؤدِّي "تعَالَى" وظيفتها البلاغيَّة بأقصى قوةٍ وإيجازٍ، مع تعزيز المعنى المناسبِ للمقامِ.

والمتأمِّل في الآيات التي وردت فيها كلمة "تَعَالَى" مفردةً يدرك تعدُّد دلالاتها البلاغية بين التنزيهِ عن الشرك، والتفخيمِ لمقام الملك الحق، والردِّ على نسبة النقائص البشرية إلى الله، كلُّ سياقٍ يُبرزُ جانبًا من جوانبِ العلوِّ الإلهيّ، معتمدًا على أساليبَ بلاغيَّةٍ متنوعةٍ كالإيجاز، والاستنكار، والتفخيم، هذا التنوُّعُ يعكس عبقريَّةَ النصِّ القرآنيّ في استخدام لفظةٍ واحدةٍ لتحقيق أغراضٍ متعددةٍ، ممَّا يجعلها محورًا للتأمُّل في البلاغة والمعاني العميقة.

في هذا المطلب سأقوم بتصنيف الآيات المذكورة التي وردت فيها كلمة "تَعَالَى" منفردةً، مع التركيز على دلالاتها البلاغية وما تضفيه من إيحاءاتٍ على النصِّ القرآنيّ، لتؤكِّد معاني التنزيه، والتفخيم، والردّ على المشركين.

**وردت "تَعَالَى" منفردةً في القران الكريم في سبعة مواضع، هي:**

قوله -تعالى-: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [ الأعراف: ١٩٠].

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[النحل: ٣].

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٤].

﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[المؤمنون: ٩٢].

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ﴾

[المؤمنون: ١١٦].

﴿أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[النمل: ٦٣].

﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا﴾[الجن: ٣].

**يمكن تقسيم الآيات إلى ثلاثة أنماطٍ رئيسةٍ بناءً على الغرض البلاغي لكلمة "تَعَالَى":**

**أولا– التعبير عن تنزيه الله عن الشرك والشركاء:**

هذا النَّمطُ هو الأكثر شيوعًا في الآيات المذكورة، حيث تأتي كلمة "تَعَالَى" لتؤكِّدَ علوَّ الله سبحانه عن أيِّ نقصٍ أو مشابهةٍ ينسبه المشركون إليه، والدلالة البلاغيَّةُ هنا ترتكز على التنزيه المطلق، مع استخدام أسلوب الإيجاز الذي يحمل قوةً تعبيريَّةً كبيرةً، وتفصيلًا نجد أنَّ آيةَ سورةِ الأعرافِ [١٩٠]: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ تتحدَّثُ عن البشر الذين أنعم الله عليهم بنعمة الولد الصالح، لكنَّهم أشركوا به، حيث نجد أنَّ "فَتَعَالَى الله" جملةٌ فعليَّةٌ ماضٍ فعلُها لتحقُّقِ وقوعِهِ وتأكُّدِهِ، وقد سُبِقَ هذا الفعلُ بـ(فاءِ التعقيبِ)، التي أتتْ

كتعقيبٍ فوريٍّ على فعلِ الشِّرك الَّذي ارتكبه الوالدان بعد نعمة الولد الصالح، و(التعقيبُ من المعاني التي اختصَّت بها الفاء، فهي تفيدُ الاتصالَ وتطوي الزمن الطويل)[١]، كأنَّ التنزيهَ ردُّ فعلٍ مباشرٍ على هذا السلوك البشري الجاحد، وهذه الجملة الفعليَّة "تَعَالَى الله" تُعطي تحقُّقًا وتأكيدًا لمعنى العلوّ، ممَّا يُبْرِزُ الفصلَ الحاسمَ بين كمالِ الله ونقص البشر، والتعبيرُ بقولِهِ: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يعزِّزُ التنزيهَ بإشارةٍ إلى فعل المشركين المتكرر؛ مما يُضفِي طابَع الاستنكار والرفض، والإيجاز هنا يعكسُ سرعةَ الردِّ وشدةَ الاستنكار، فلا حاجة لتطويل العبارة بأدواتٍ أو تفصيلاتٍ؛ لأنَّ كلمة "تَعَالَى" بمفردها كافيةٌ لنفي الشرك وإثبات العلوّ بأبلغ تعبيرٍ، وهذا الاختصار يتناسب مع مقام الذمّ للمشركين، حيث يكفي التنزيهُ المطلقُ لإبطالِ فعلِهِمْ دونَ إطالةٍ تعطيهم أهميةً زائدةً.

وفي آية النحل [٣]: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ذكر خلق السماوات والأرض كدليلٍ على قدرة الله المنفردة، نجد أنَّ "تَعَالَى" هنا تأتي بعد ذكر خلق السماوات والأرض، وهي آيةٌ كونيَّةٌ عظيمةٌ تُظهر قدرة الله المطلقة، والقيدُ في هذا التركيب ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ينفي أيَّ شريكٍ يُدَّعى في هذا الخلق العظيم، فبناءُ هذه الجملة يحمل طابع الاستدلال، إذ ينتقل من الدليل (الخلق) إلى النتيجة (التنزيه)، وورود "تَعَالَى" منفردةً هنا؛ لأن الإيجاز يُعزِّزُ قوةَ الحُجَّة، فبعد عرض دليل الخلق لا حاجة لتفصيلٍ أو إطنابٍ، بل يكفي "تَعَالَى" لتكون خاتمةً قاطعةً تؤكِّدُ أنَّ

---

**(١) من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم (الفاء وثم)، د/ محمد الأمين الخضري، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٧م ، صـ٥٠.**

مَن أبدع هذا الكونَ لا يُمكن أن يُشاركَه أحدٌ، وهذا الاختصارُ يتناسب مع عظمة الآية الكونيَّة؛ مما يجعلُ التنزيهَ بمثابة حقيقةٍ بدهيَّةٍ لا تحتاج شرحًا.

وفي قولـــه – تعـــالى-: ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٢] وردتْ جملةُ "فَتَعَالَى" بعد وصف الله بأنَّه "عالم الغيب والشهادة"، وهي صفةٌ تدلُّ على العلم المطلق الذي لا يُحيطُ به أحدٌ، وحرف الفاء يدلُّ على الترتيب والتعليل، كأنَّ عُلوَّ الله نتيجةٌ طبعيَّةٌ لهذا الكمال، وهذا التعبيرُ يحمل طابع التنزيه المباشر عن الشرك، مع إيحاءٍ بالتناقض بين عظمة الله وما يفعله المشركون، والإيجاز هنا يعكس بداهة التنزيه، فمن له علم الغيب والشهادة لا يحتاج إلى تفصيلٍ لنفي الشرك عنه، فـ"تَعَالَى" بمفردها تكفي لإبطال أيِّ مشابهةٍ، وتتناسبُ مع سياق الاستدلال على الوحدانية، حيث تكونُ خاتمةً حاسمةً للحُجَّةِ دونَ إطنابٍ.

أمَّا آيةُ النَّملِ ﴿أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [النمل: ٦٣] ففيها استفهامٌ تقريريٌّ يُبرز نعمَ اللهِ على عبادِهِ في هدايتِهم ورحمتِه، وقوله: ﴿تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ جملةٌ تُتوِّجُ الحجَّةَ على المشركين بعدَ سردِ النِّعم، فتأتي كخاتمةٍ قويةٍ للاستدلال؛ (لتُقرِّرَ تنزيهَ الذاتِ الإلهيَّة عن لغوِ الجاحدين وضلالِهم)[1]، معززةً بأسلوبِ الاستفهامِ البلاغيِّ الذي يفضحُ ضلالَ الشِّرْكِ، فتأتي "تَعَالَى" لتؤكِّدَ أنَّ مَن يملك هذه القدرات لا يمكن أن يُشاركه أحدٌ، وتكرارُ هذه الجملة

(١) من روائع القرآن، تأمُّلاتٌ علميَّة وأدبيَّة في كتاب الله عزَّ وجلَّ، د/ محمد سعيد رمضان البوطي، مؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٣م، صـ٢٨٥.

في أكثر من سورةٍ يُعطي ثباتًا للمعنى، مع إيحاءٍ بالرَّفض القاطع للشِّرك، ويمكن الجزم بأنَّ السِّمةَ البلاغيَّةَ المشتركة في هذه الآيات ﴿تَعَٰلَىٰ﴾ تحمل طابَع الردِّ والتنزيهِ المباشر، وتأتي غالبًا مع ﴿عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾؛ لتؤكِّد رفض أيِّ شريكٍ أو مشابهةٍ، بأسلوبٍ موجزٍ يعكس العلوَّ والجلالَ، والإيجاز هنا يُعزِّزُ قوَّةَ الحُجَّةِ بعدَ الاستدلالِ بالنِّعمِ، فلا حاجةَ لإطالةٍ تُضعِفُ وقْعَ الردِّ، و"تَعَالَى" بمفردها تكفي لتكون نتيجةً حتميَّةً للاستفهام، وتتناسب مع مقام التحدِّي للمشركين، حيث تُنهي الجدل بقوةٍ ووضوحٍ.

**ثانيًا– التفخيم والإجلال لمقامِ الله الملك الحقّ:**

يتجلَّى التفخيم والإجلال لمقام الله –عزَّ وجلَّ– مع ورود "تَعَالَى" مقرونةً بصفات الملك والحق، لتؤكِّد عظمةَ الله وسلطانَه المطلق، مع إبراز التنزيه عن أيِّ نقصٍ بشريٍّ، فنرى في آية ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٤] توجيهًا للنبي **صلى الله عليه وسلم** بعدمِ العجَلةِ في تلقِّي الوحي، وهنا تأتي ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّ﴾ كافتتاحيَّةٍ تعظيميَّةٍ، تعكسُ جلالَ الله الذي يُدبِّر الوحْيَ بحكمتِهِ، والتقييدُ بالوصف بـ ﴿ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّ﴾ مع ﴿فَتَعَٰلَى﴾ يُبرزُ السُّلطانَ الإلهيَّ والصِّدْقَ المطْلَقَيْنِ، مما يعزِّز التفخيم، فالملِكُ «هُوَ الَّذِي يَسْتَغْنِي فِي ذَاته وَصِفَاته عَن كلِّ مَوْجُودٍ، وَيحْتَاجُ إِلَيْهِ كلُّ مَوْجُودٍ، بل لَا يَسْتَغْنِي عَنهُ شَيْءٌ فِي شَيْءٍ لَا فِي ذَاتِه وَلَا فِي صِفَاتِه، وَلَا فِي وجوده وَلَا فِي بَقَائِهِ، ... فَكلُّ شَيْءٍ سواهُ هُوَ لَهُ مَمْلُوكٌ فِي ذَاتِه وَصِفَاتِه، وَهُوَ مستغنٍ عَن كلِّ

شَيْءٍ، فَهَذَا هُوَ الْمَلِكُ مُطلقًا»[(١)]، والحقُّ هو «الثَّابتُ الذي لا يزولُ، واجبُ الوجودِ لذاتِهِ، ولا وجودَ للحوادثِ إلا بهِ، ولا معبودَ بحقٍّ إلا هو»[(٢)]؛ «لأنَّهُ صادقٌ أبدًا وأزلًا لذاتِهِ لا لِغيرِهِ»[(٣)]، وحرف "الفاء" يشير إلى الانتقال من مقام التنزيه إلى الأمر العمليّ، مما يُضفي طابَع التسلسل المنطقيّ، و"تَعَالَى" هنا تحمل إيحاءً بالجلال يُمهّد لقبول الأمر الإلهي بطمأنينةٍ، والإيجازُ في ورود "تَعَالَى" منفردة يبرزُ عظمةَ الله بلا حاجةٍ إلى إطالةٍ قد تُضعف وقْعَ التعظيمِ، فـ "تعالى" بمفردها كافيةٌ لإثارةِ الرَّهبةِ والإجلالِ في نفسِ النبيّ صلى الله عليه وسلم والمستمع، فورودها منفردةً يتناسب مع مقام الوحي، حيث تكون بمثابة تذكيرٍ قويّ بعلوّ الله قبل التوجيه، مما يُعزّز الاستجابة للأمر.

ومثله في قوله – تعالى–: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾[المؤمنون: ١١٦]، حيث جرى السياق لتأكيد وحدانية الله وربوبيته، وبنظرةٍ بلاغيَّةٍ نجد أن ورود "تَعَالَى" مع "الملك الحق" تعزّز فكرة العلوّ المطلق في الملك والحقيقة، وتأتي كخاتمة للرد على المشركين، والقصرُ في "لا إله إلا هو" يؤكد التوحيد، مما يجعل "تَعَالَى" مفتاحًا بلاغيًّا للتفخيم والإجلال، والسمة البلاغية في ورود "تَعَالَى" هنا أنها مقرونةٌ بصفاتٍ ذاتِ طابعٍ سُلطانيّ (الملك، الحق)، مما يعزز التفخيم ويبرز التنزيه عن أي مشابهة بشرية، مع إيحاء بالعظمة والسلطة الإلهية، والإيجاز في ورود "تَعَالَى" منفردةً يبرز الجلال والسلطان بقوَّةٍ، فلا حاجة لتطويل العبارة بعد ذكر الصفات العظيمة،

(١) المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى، صـ٦٦.

(٢) شرح أسماء الله الحسنى، لأبي القاسم عبد الكريم القشيريّ، تحقيق: أحمد عبد المنعم عبد السلام الحلواني، دار آزال– بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م، صـ١٨٦.

(٣) المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى، صـ١٠٥.

فـ"تَعَالَى" منفردة تكفي لتكون إعلانًا نهائيًّا لعلو الله، وتتناسب مع ختام الجدل مع المشركين، حيث تُنهي النقاش بحسمٍ وتفخيمٍ.

**ثالثًا– التنزيه عن النقائص البشرية (الصاحبة والولد):**

وردت كلمة "تَعَالَى" منفردة للدلالة على تنزيه الله عن الصفات البشرية التي قد تنسب إليه، مع إبراز علو جدّه وكماله في آية: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾[سورة الجن: ٣] في سياق كلام الجن المؤمنين عن عظمة الله، والملاحظ أنَّ قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ تعبيرٌ فريدٌ يجمع بين العلوِّ والعظمة (جدّ)، ويأتي لينفي عن الله الصفات البشرية (الصاحبة والولد) بأسلوبٍ يحملُ الإجلالَ والتعجُّبَ من نسبة مثل هذه النقائص إليه. واستخدام "أنه" يضفي طابع التأكيد، كأنَّ الجنَّ يشهدون بهذا التنزيه شهادةً قطعيَّةً، فـ "تَعَالَى" هنا تحمل دلالةً خاصَّةً بالتنزيه عن النَّقائص الماديَّة والمحسوسة، مع تعزيز مقام الله العليِّ بأسلوبٍ يجمع بين الإثبات ﴿تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ والنفي ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾، ولعلَّ عدم اقترانها بـ "سُبْحَانَهُ" يُشير إلى أنَّ الغرض ليس التنزيه المجرَّد من شبهةٍ معيَّنةٍ في مقامِ جدلٍ، بل هو تقريرُ العلوِّ كمقدمةٍ طبعيَّةٍ للنَّفي اللاحق، مما يجعل الخطاب تعظيميًّا مقرونًا بالتنزيهِ في آنٍ واحدٍ، وورود "تَعَالَى" في بداية الجملة بعد التأكيدِ ﴿وَأَنَّهُۥ﴾ يمنحها وقعًا قويًّا يُركِّز الانتباهَ على ما يليها من وصفٍ للربِّ، والإيقاع الصوتيُّ للكلمة، مع التشديد على اللام، يُضفي عليها طابعًا جليلًا يتناغم مع معنى "الجدّ"، فتُصبح بمثابة نقطة انطلاقٍ تُمهد للمعنى الكليِّ للآية، كما أنَّ موقعها قبل النفي يجعلها فاصلةً إيقاعيَّةً

تُبرز التناقض بين علوِّ الله وما يُنسب إليه من نقائص، مما يعزز التأثير النفسي والسمعي للخطاب.

وورود "تَعَالَى" منفردةً هنا في قدرتها على الجمع بين التعظيم والتنزيه في لفظٍ واحدٍ موجز. فهي تُثبت علو الله وجلاله كصفة ذاتية، وتُمهد في الوقت ذاته لنفي ما لا يليق بهذا العلو من صفات المخلوقات. وهكذا، تتجلى براعة الإيجاز القرآني، إذ تكفي كلمة واحدة لتحمل هذا الحمل الدلالي العظيم، متناسبةً مع سياق الجن الذين أُبهروا ببلاغة القرآن واختصاره العجيب. أضف إلى ذلك أن استخدامها منفردةً يُحقق الاقتضاء البلاغي للمقام، حيث لا حاجة لإطالة الخطاب بـ "سُبْحَانَهُ"، إذ يكفي "تَعَالَى" لإيصال المعنى بكل جلاءٍ وجلال.

**والخلاصةُ:**

إنَّ ورود "تَعَالَى" منفردةً في هذه الآيات يعكس حكمة بلاغية تتمثل في الإيجاز القوي الذي يحقق الغرضَ دون إطنابٍ في كل سياق، تؤدي "تَعَالَى" وظيفة محددة: (تنزيهًا، تفخيمًا، ردًّا) بما يتناسب مع المقام، معتمدةً على قوتها الذاتية كلفظةٍ تحمل العلوَّ والجلال، هذا الإيجاز يجعلها أداةً بلاغيَّةً فذَّةً تترك أثرًا عميقًا في النفس، وتؤكِّد عظمة التعبير القرآني في الجمع بين الاختصار والمعاني العظيمة.

*****

## المبحث الثالث

## بلاغة اجتماع "سُبْحَانَهُ" و "تَعَالَى"

## وافتراقهما في القرآن الكريم

**وفيه مطلبان:**

**المطلب الأول: الدقة البلاغية في افتراق "سُبْحَانَهُ" و "تَعَالَى" في النص القرآني.**

**المطلب الثاني: الدلالة البلاغية لاجتماع "سُبْحَانَهُ" و "تَعَالَى" في القرآن الكريم.**

### المطلب الأول

### الدقَّة البلاغيَّة في افتراقِ "سُبْحَانَهُ" و"تَعَالَى" في النصِّ القرآنيّ

تُبرز الدقة البلاغية في افتراق "سُبْحَانَهُ" و"تَعَالَى" في النصِّ القرآنيّ قدرةَ القرآن على التعبير عن المعاني بألفاظٍ تتناسب بدقَّةٍ مع السياقات، فـ "سُبْحَانَهُ" تُنزِّهُ اللهَ عن النقائص وتُثيرُ التعجُّبَ، كما في سياقات القدرة الإلهية أو ردِّ الافتراءات، بينما تُستخدم "تَعَالَى" لإثبات العلوّ والرفعةِ في مقامات التعظيم، ويظهر الافتراق بينهما كجزءٍ من الإعجاز اللُّغوي الذي يُظهر تفرُّدَ النصِّ القرآنيّ، وأنَّ هذا الاستخدامَ يعكس اختيارًا محكمًا يخدم مقتضى الحال، مما يُعزِّز مكانة القرآن كنصٍّ بلاغيٍّ لا يُضاهى.

إنَّ دراسة اقتران "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" وافتراقهما تكشف لنا عن إعجازٍ قرآنيّ بليغٍ يظهر في توظيف المفردات واختيار مواضعها، فكلُّ كلمةٍ تأتي في مكانها بعنايةٍ إلهيَّةٍ دقيقةٍ، تُلقي بدلالاتٍ بلاغيةٍ تؤكد على عظمة الله وتنزيهه.

**الإعجاز البلاغي في افتراق "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى":**

يظهر من السياقات أن "سُبْحَانَهُ" تُستخدم غالبًا في مقامات التنزيه البحت أو التعجُّب من قدرة الله، بينما تُفرد "تَعَالَى" في مقاماتٍ تُبرز العلوَّ والرفعةَ، هذا الافتراق يعكس دقة بلاغية تتناسب مع المعنى المقصود، حيث لا يُضاف لفظٌ إلا إذا اقتضاه السياق، مما يُظهر الاقتصاد اللغويَّ والإعجازَ في النصِّ القرآنيّ، وقد بيَّنَ الإمامُ الرازي أنَّ «المرادَ بِقَوْلِهِ: (سُبْحانَهُ) أنَّ هَذا القائِلَ يُسَبِّحُهُ ويُنَزِّهُهُ عَمَّا لا يَلِيقُ بِهِ، والمرادُ بِقَوْلِهِ: (وتَعالى) كَوْنُهُ في ذاتِهِ مُتَعالِيًا مُتَقَدِّسًا عَنْ هَذِهِ الصِّفاتِ، سَواءٌ سَبَّحَهُ مُسَبِّحٌ أوْ لَمْ يُسَبِّحْهُ، فالتَّسْبِيحُ يَرْجِعُ إلى أقْوالِ المسَبِّحِينَ، والتَّعالِي يَرْجِعُ إلى صِفَتِهِ الذّاتِيَّةِ الَّتِي حَصَلَتْ لَهُ لِذاتِهِ لا لِغَيْرِهِ»[1].

وقد بيَّن العلماءُ أنَّ كلًّا من "سُبْحَانَهُ" و "تَعَالَى" يؤدي معنًى مميزًا في مواضعه، وأنَّ اجتماعَ اللفظين يشكِّلُ درجةً أعلى من التنزيه والتعظيم، مما يُبرز الإعجاز البلاغي في دقَّةِ اختيار كلِّ لفظٍ حسب السياق، وذلك على النحو الآتي:

١. الدلالة المستقلة لـ **"سُبْحَانَهُ"**: عندما تأتي "سُبْحَانَهُ" منفردة، تكون دلالتها محصورة في التنزيه الخالص عن النقائص، وترد غالبًا في سياقات تتعلق بإبعاد الله عن النقص، كما في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾[يس: ٣٦]، حيث تشير "سُبْحَانَ" إلى التعجب والتنزيه معًا، وتناسب السياق الذي يوضح قدرة الله المطلقة في الخلق،

[1] تفسير الفخر الرازي، ١٣/ ٩٢.

و«التنزيه بـ (سبحان) تنزيهٌ عن الشريكِ، والتنزُّهُ عن الشريك يلزمُهُ التنزُّه عن أن يكون العجز، فلا تكونُ الشراكةُ إلا عن عجز الاستيفاء»[١].

تظهر "سُبْحَانَهُ" منفردة في سياقات تُركز على تنزيه الله عن النقائص دون الحاجة إلى إضافة معنى الرفعة الصريحة، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾[الإسراء: ١]، حيث تُعبّر عن تنزيه الله عن أيِّ عجزٍ في قدرته، مع إثارة التعجب من عظمة فعله، وفي قوله: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]، تَنفي "سُبْحَانَهُ" نسبة الولد إلى الله، مُركزة على نفي النقص دون إضافة تعظيم إضافي، إذ يكفي السياق في إبراز هذا المعنى، « فَلَمَّا كَانَ اتِّخَاذُ الْوَلَدِ نَقْصًا فِي جَانِبٍ وَاجِبِ الْوُجُودِ؛ أَعْقَبَ مَقَالَتَهُمْ بِكَلِمَةِ "سُبْحانَهُ" تَنْزِيهًا لَهُ عَنْ ذَلِكَ»[٢]، ولفظة "سُبْحَانَهُ" تحمل دلالة التعجب من عظمة الله عند ورودها منفردةً، كما في قوله جلَّ شأنُهُ: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾ ، وابتداءُ السورة الكريمة بمفردة "سُبْحَانَهُ" فيه «براعة استهلال؛ لأنَّه لما كان الإسراءُ أمرًا خارقًا للعادة، بدأ السورة بما يشيرُ إلى كمالِ القُدرة وتنزُّهِه – تعالى– عن صفات النقص»[٣].

---

(١) المعنى القرآني، د/ محمود توفيق، ٣٢١.

(٢) التحرير والتنوير، ١٧/ ٥٠.

(٣) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، دار الفكر (دمشق– سورية)، دار الفكر المعاصر (بيروت– لبنان)، ط١، ١٤١١هـ– ١٩٩١م، ١٥/ ٩.

إنَّ التفرقةَ بين "سُبْحَانَهُ" و"تَعَالَى" تُظهر دقائق البلاغة القرآنية، «فالتَّسْبِيحِ راجِعٌ إلى أقْوالِ المسَبِّحِينَ، والتَّعالِي راجعٌ إلى صِفاتِهِ – تَعالى- الذّاتِيَّةِ الَّتِي حَصَلَتْ لِذاتِهِ سُبْحانَهُ لا لِغَيْرِهِ»[1]، وهو ما يؤكد أنَّ الجمع بين اللفظين يعكس حاجة السياق إلى إبراز مقام الله الرفيع في مواجهة الافتراءات.

٢. **الدلالة المستقلة لـ "تَعَالَى":**

أما "تَعَالَى" فتأتي غالبًا للدلالة على علوِّ الله ومكانته العالية فوق تصورات البشر، وقد ترِدُ منفردةً لتُعطي معنى العلوِّ دون التركيز على التنزيه التام، إذ تكون إشارةً إلى رفعةِ اللهِ عن كلِّ ما يتصوَّرُه البشر من علوِّ المقام، «والتنزيه بقوله: (تعالى) تنزيهٌ عن العجز، ومن لم يكن عاجزًا كان هو الواحد الأحد الصمد»[2].

تُستخدم "تَعَالَى" منفردة في سياقات تُبرز علوَّ الله ورفعتَه، كما في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[البقرة: ٢٥٥]، حيث تُثبت "تَعَالَى" (في صيغتها الصفة المشبهة "العَلِيّ") مقام العلوِّ بما يتناسب مع سياق التعظيم، دونَ تركيزٍ مباشرٍ على التَّنزيه عن نقصٍ معينٍ، وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[النحل: ٣]، تُركز "تَعَالَى" على علوِّ الله فوق ما يُنسب إليه من شركٍ بإيجازٍ، مع إيحاءٍ ضمنيٍّ بالتنزيه، وقوله: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ

---

(١) تفسير الألوسي، ٤/ ٢٢٨.

(٢) المعنى القرآني، د/ محمود توفيق، ٣٢١.

﴿بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ «كاشفٌ عن أنَّ النعمَ المذكورة جميعًا لبيانِ تنزيهِه – سبحانه– وتمامِ علمِهِ وقدرتِهِ»[١].

ويُفرق الألوسيُّ بين دلالتي "سُبْحَانَهُ" و"تَعَالَى"، مشيرًا إلى أنَّ "سُبْحَانَ" «تُفيد المبالغة في التنزيه من حيث الاشتقاق من السَّبْح وهو الإبعاد في الأرض والذهاب»[٢]، وأنَّ "تَعَالَى" تفيد الارتفاع، يقول في تفسير قوله عزَّ وجلَّ:﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦]: «فَتَعالَى اللَّهُ استعظامٌ له تعالى ولشؤونه سبحانه التي يصرف عليها عباده جلَّ وعلا من البدء والإعادة والإثابة والعقاب بموجب الحكمة البالغة، أي ارتفع سبحانه بذاته، وتنزه عن مماثلة المخلوقين في ذاته، وصفاته، وأفعاله، وعن خلو أفعاله عن الحكم والمصالح الحميدة»[٣].

ومن هنا يتَّضح أنَّ الافتراقَ يُركِّز على التنزيه، بينما الاجتماع يُضيف الرِّفْعة، وعلى ذلك فإنَّ "سُبْحَانَهُ" تُركِّز على نفي النقص أو إثارة التعجب، كما في سياقات القدرة الإلهية أو ردِّ الافتراءات، بينما تُستخدم "تَعَالَى" لإثبات العلوِّ والرفعةِ في مقامات التعظيم، هذا الافتراق يعكس اقتصادًا لغويًّا ودقةً بلاغيَّةً، حيث يُختار اللفظُ الأنسبُ لكلِّ سياقٍ دون زيادةٍ أو نقصانٍ، وتُبرز الدلالة البلاغية لاجتماع "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" وافتراقهما في النص القرآني إعجازًا لغويًّا يتجلَّى في تناسب الألفاظ مع السياقات، فالاجتماع يُعزز التنزيه والتعظيم في مواجهة الشبهات العظيمة، بينما يُركِّز الافتراق على

---

(١) علاقة المطالع بالمقاصد في القرآن الكريم دراسة بلاغية نظرية تطبيقية، د/ إبراهيم الهدهد، مكتبة الإيمان– القاهرة، ط١، ١٤٣٢هـ– ٢٠١١م، ٢٥٩– ٢٦٠.

(٢) تفسير الألوسي، ٤/ ٦٣.

(٣) تفسير الألوسي، ٩/ ٢٦٩.

التنزيه أو الرفعة حسب مقتضى الحال، ولا شكَّ أنَّ هذا الاستخدامَ يُظهر دقَّةَ النَّظْمِ القرآنيّ، ممَّا يؤكّد مكانته كنصٍّ بلاغيٍّ لا يُدانيه نصٌّ آخرُ.

*****

## المطلب الثاني

## الدلالة البلاغية لاجتماع "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" في القرآن الكريم

من بين السمات البلاغية البارزة في النصِّ القرآنيّ استخدام الصفات الإلهية التي تُظهر عظمة الذات الإلهية وتنزّهها عن أي نقص، وفي هذا السِّياق تبرز صيغة "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" كواحدةٍ من التعبيراتِ البارزةِ تكرارًا ودلالةً في الخطاب القرآنيّ، إنَّ استخدام "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" في القرآن الكريم ليس مجرد تنويعٍ لفظيٍّ، بل هو تعبيرٌ دقيقٌ يحمل دلالاتٍ عميقةً تتناسب مع السياقاتِ القرآنيَّة، فـ "سُبْحَانَ" تُفيد التنزيه المطلق عن النقص، بينما تُضيف "تَعَالَى" معنى الرفعة والعلوّ، ويأتي الجمع بينهما لتأكيد هذين المعنيين معًا في مقاماتٍ تحتاج إلى تقديسٍ وتعظيمٍ. وهكذا، يتجلى الإعجاز البلاغي في اختيار الألفاظ التي تُبرز كمال الله وتنزّهه عن الشبهات البشرية.

ويُعدُّ اجتماع "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" في النصِّ القرآني من الظواهر البلاغية التي تُبرز الدقة اللغوية والعمق الدلالي في الخطاب الإلهي، ويعود "الاجتماع" في جذوره اللغوية إلى الأصل الثلاثي (ج-م-ع)، الذي يدلُّ على التلاقي والتجمّع والضمّ، يُقال: «جمعتُ الشيءَ جمعًا: إذا ضممتَه، وجمعَ الشيءَ عن تفرقةٍ: إذا ألَّفه، واجتمعَ القومُ واستجمعوا: إذا تجمَّعوا وانضمَّ بعضُهم إلى بعضٍ، واتَّحدُوا واتَّفقُوا»[1]، وقد عرَّف الجرجاني

[1] مقاييس اللغة، لسان العرب، مادة (ج م ع).

"الاجتماع" بأنَّهُ «تقارب الأجسام بعضها من بعض»[١]، بينما وصفه السيوطيُّ بأنَّه «وجود أشياء كثيرة يشملها معنًى واحدٌ»[٢]، أما المناوي فقد قال: «الاجتماع هو مجاورة جوهرين في حيزين ليس بينهما ثالث، وضده الافتراق، الذي يعني وقوع جوهرين بينهما حيز»[٣].

أما في الاصطلاح البلاغي، فيتجاوز مفهوم "الاجتماع والافتراق" حدودَ المعنى اللغوي المباشر ليغوص في أبعادٍ دلاليةٍ وتركيبيةٍ غاية في العمق والدقة، يتحول هذا المفهوم إلى أداة تحليلية بديعة تُبرز أسرار التعبير اللغوي وطرائق توظيف الكلمات لصياغة المعاني المختلفة، فالبلاغيون ينظرون إلى كيفية تلاحم الكلمات واجتماعها واتصالها لتشكيل معنًى محددٍ، وكيفية افتراقها للكشف عن أبعادٍ متعددةٍ للفكرة، مما يُبرز الإعجازَ في أساليب التعبير، يشير هذا الاصطلاح إلى التفاعل الدقيق بين الألفاظ في السياق، حيث يمكن للكلمات أن تتّحد في دلالةٍ واحدةٍ أو تتفرق لتعكس معانيَ متباينةً، وهذا يجعل من مفهوم "الاجتماع والافتراق" ركيزةً أساسيَّةً لفهم الأساليب اللغوية المركبَّة، ودراسة العلاقات الجماليَّة والدلاليَّة بين الكلمات، فهو يُحلِّل كيفية تلاقي الكلمات أو تباعدها من حيث الدلالة والتركيب، مع التركيز على السمات النوعية التي تميّز هذه التفاعلات،

---

(١) التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ– ١٩٨٣م، صـ ١٠.

(٢) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، أبو الفضل عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، مكتبة الآداب– القاهرة، ط١، – ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م، ص ١٣٧.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف، للشيخ عبد الرؤوف المناوي(ت ١٠٣١هـ)، تحقيق: د/ عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتب– القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ– ١٩٩٠م، صـ ٣٨.

وفي السياق القرآني تحديدًا، تكتسب هذه الدراسة أهميةً خاصَّةً، حيث يصبح المفهوم أداةً لفهم الدقائق البلاغيَّة التي تظهر في اختيار الألفاظ وترتيبها بعنايةٍ فائقةٍ.

وكما سبقَ بيانُهُ أنَّ كلمة "سبحانه" مشتقةٌ من "التسبيح"، وتعني الإبعاد والتنزيه والتقديس، أي نفي أيِّ شائبةٍ أو نقصٍ عن الله تعالى في ذاته أو صفاته أو أفعاله، وهي تحمل في طيَّاتِها دعوةً ضمنيَّةً للمخلوقات لتسبيحه وتمجيده.

أما "تعالى" فتأتي من "علو"، وتشير إلى السموِّ والرِّفعة المطلقة لله تعالى فوق كلِّ ما يمكن تصوُّرُه أو قياسه، سواءٌ في المكانة أو القدرة أو الكمال، وعندما تتكامل هاتان الكلمتان في عبارة "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"، تتشكَّل وحدةٌ دلاليَّةٌ متماسكةٌ تعكس الجلالَ والكمالَ الإلهيَّ بأبهى صوره، ومع ذلك، نلحظ أنَّ القرآن الكريم لا يلتزم باستخدامهما معًا دائمًا، بل ترد أحيانًا إحداهما دون الأخرى، مما يدعو إلى التأمل في الأسرار البلاغية التي تنبثق من هذا الاجتماع والافتراق، وقد وردتْ هذه العبارةُ مجتمعةً في عدة مواضع، ويمكن رصد الدلالة البلاغية لاجتماع "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" فيما يأتي:

اجتماع "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" يحمل دلالة التنزيه الشامل لله – تعالى– عن كلِّ ما لا يليق بجلاله، سواءٌ كان ذلك في الذات، أو الصفات، أو الأفعال، فـ"سُبْحَانَهُ" تَنفي أيَّ نقصٍ أو مشابهةٍ للمخلوقات، بينما "تَعَالَى" تُثبت السموَّ المطْلقَ فوق كلِّ تصوُّرٍ بشريٍّ، فمعنى "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" في آية سورة الإسراء ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾[الإسراء: ٤٣] أنَّ اللهَ تعالى «تقدَّس وتنزَّه وعلتْ أوصافُهُ عَمَّا يَقُولُونَ من

الشِّرك به واتخاذ الأنداد معه عُلُوًّا كَبِيرًا، فَعَلا قدرُهُ وعظُمَ وجلَّتْ كبرياؤُهُ التي لا تقادر أن يكون معه آلهةٌ»[١].

تعدُّ عبارة "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" من أبرز التعبيرات البلاغية التي وردت في القرآن الكريم، وتعتبر من أدوات التنزيه والتعظيم التي تعكس أسمى معاني العظمة والتقديس لله سبحانه وتعالى. إن "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" تشير إلى التفرد المطلق لله تعالى في صفاته وأفعاله، وهي تأكيد على أن الله لا يحده زمان ولا مكان، ولا يمكن أن يُدرَك بكافة الوسائل البشرية. كما أنها تعكس تعبيرًا شعوريًّا عميقًا عن التقديس والتهليل لله، يُساعد المؤمن على تنقية ذهنه وقلبه من أي تصور خاطئ أو ضبابي حول معاني الإلهية. وتكرار اجتماع هذين اللفظين في القرآن له دلالة بلاغية عميقة تحمل في طياتها تنزيهًا لله عن كل نقص أو عيب، مع التأكيد على رفعة مكانته وتفرده في الألوهية والربوبية. ففي "سبحانه"، تنزيه لله عن كل ما لا يليق به من التشبيه أو التجسيد، بينما في "تعالى"، تعبير عن علوه ورفعته فوق كل تصور بشري، مما يعزز مكانته في قلب المؤمن.

إن دراسة سياقات استخدام "سُبْحَانَهُ" و"تَعَالَى" في القرآن الكريم تتطلب إلمامًا بالمقاصد البلاغية الدقيقة التي تتضمنها الآيات التي تحتوي على هاتين الكلمتين، ففي السياقات القرآنية، نجد أنَّ تكرار "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" يعكس التوازن بين التنزيه والتعظيم، وهما عنصران أساسيان في بناء التصور الصحيح عن الله في قلب المؤمن. فالتنزيه يرفع الله عن أي تشبيه أو نقص، والتعالي يرفع مقامه عن أن يكون في دائرة المحاكاة أو التقريب إلى مفاهيم بشرية. هذا الاجتماع يُسهم في التأكيد على قدسية الله، ويجعل الإيمان به يشمل فهمًا عميقًا لجلاله وعظمته. وقد وردت عبارة "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" في القرآن الكريم

---

**(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م، صـ ٤٥٨.**

في سبعة مواضعَ، تعدُّ باجتماعها ظاهرةً بلاغيَّةً تُبرز الكمال الإلهي وتنزّه الله تعالى عن كلِّ ما لا يليق به، مع الردِّ على افتراءاتِ المشركين والمنافقين، ويمكن أن نستنطق دلالتَها البلاغيَّة فيما يلي:

**الموضع الأول:** قوله – تعالى–: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَـٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[الأنعام: ١٠٠].

تأتي عبارة "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" بعد وصف أفعال المشركين الذين جعلوا الجن شركاء لله ونسبوا إليه البنين والبنات بلا علم. يأتي الاقتران لتنزيه الله عن نسبة الجنّ كشركاء وعن ادّعاء الأولاد بلا علمٍ، يقول ابنُ عاشور: «وَجُمْلَةُ "سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمَّا يَصِفُونَ" مُسْتَأْنَفَةٌ تَنْزِيهًا عَنْ جَمِيعِ مَا حُكِيَ عَنْهُم»[(١)]، والعبارة تُشكّلُ ردًّا قاطعًا على جهلهم وافتراءاتهم، ويعلق الطبري بقوله: «تَنَزَّهَ اللَّهُ وَعَلَا فَارْتَفَعَ عَنِ الَّذِي يَصِفُهُ بِهِ هَؤُلَاءِ الْجَهَلَةُ مِنْ خَلْقِهِ فِي ادِّعَائِهِمْ لَهُ شُرَكَاءَ مِنَ الْجِنِّ، وَاخْتِرَاقِهِمْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ»[(٢)]، والحكمة تتجلّى في تعزيز فكرة أنَّ الله هو الخالق الواحد، ونجد أنَّ الإيقاع اللفظي في "سبحانه" بنغمتها الهادئة تُطهّر السمع من هذه الأقوال، ثم "تعالى" ترفع الإيقاع لتُبرز عظمته.

**الموضع الثاني:** قوله – تعالى–: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨].

---

(١) التحرير والتنوير، ٧/ ٤٠٩.

(٢) جامع البيان للطبري، ٩/ ٤٥٦.

يأتي الاقتران بين "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" بعد استنكار عبادة ما لا ينفع ولا يضر وادِّعاء الشفاعة، و«الْمَقْصُودُ تَنْزِيهُ اللَّه تَعَالَى نَفْسَهُ عَنْ ذَلِكَ الشِّرْكِ»[١]، والعبارة تُكمل الاستفهام الاستنكاري بتأكيد تفرُّد الله –عزَّ وجلَّ– ووحدانيَّته، واقترانُ لفظ التنزيه هنا بالفعل (تعالى)؛ وهو «تفاعُلٌ من العلوّ، وَالتَّفَاعُلُ فِيهِ لِلْمُبَالَغَةِ فِي الِاتِّصَافِ»[٢].

**الموضع الثالث:** قوله – تعالى–: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [النحل: ١].

يأتي الاقتران بعد الإشارة إلى قرب أمر الله، ليُنزه عن الشرك في سياق التذكير، "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" هنا تكمن في التنزيه عن أي شريك في أمره، مع تعظيمه ليُدركوا عظمة قدرته، فقد «تبرَّأ وجلَّ عن أن يكونَ لهُ شريكٌ فيدفع ما أراد بهم»[٣]، والعبارة تُجمع بين التنزيه والتعالي بإيجازٍ يُناسبُ السِّياقَ، فقد «نَزَّهَ – سُبْحانَهُ– نَفْسَهُ تَنْزِيهًا مُطْلَقًا جامِعًا؛ بِقَوْلِهِ: ﴿سُبْحانَهُ﴾، أيْ: تَنَزَّهَ عَنْ الِاسْتِعْجالِ، وعَنْ جَمِيعِ صِفاتِ النَّقْصِ، ﴿وتَعالى﴾، أيْ: تَعالِيًا عَظِيمًا جِدًّا ﴿عَمّا يُشْرِكُونَ﴾؛ أيْ: يَدَّعُونَ أنَّهُ شَرِيكٌ لَهُ»[٤]، «والتَّعْبِيرُ بِالمضارِعِ لِلدَّلالَةِ عَلى تَجَدُّدِ إشْراكِهِمْ واسْتِمْرارِهِ، والِالتِفاتُ إلى الغَيْبَةِ لِلْإيذانِ بِاقْتِضاءِ ذِكْرِ قَبائِحِهِمْ لِلْإعْراضِ عَنْهم وطَرْحِهِمْ عَنْ رُتْبَةِ الخِطابِ وحِكايَةِ شَنائِعِهِمْ لِلْغَيْرِ»[٥]، يقول ابن كثير: «ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنْ شِرْكِهِمْ بِهِ غَيْرَهُ، وَعِبَادَتِهِمْ مَعَهُ مَا سِوَاهُ مِنَ

(١) مفاتيح الغيب، ١٧/ ٢٢٨.
(٢) التحرير والتنوير، ٧/ ٤٠٩.
(٣) تفسير البيضاوي، ٣/ ٢١٩.
(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ١١/ ١٠٣.
(٥) تفسير الألوسي، ٧/ ٣٣٦.

الْأَوْثَانِ وَالْأَنْدَادِ، تَعَالَى وَتَقَدَّسَ عُلُوًّا كَبِيرًا، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْمُكَذِّبُونَ بِالسَّاعَةِ، فَقَالَ: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾»[(١)]، فجمع القرآن بين التسبيح والتعالي؛ مبالغةً في نفي ما يدَّعون، «وشركهم هاهنا هو ما وقع منهم من استعجال العذاب وقيام الساعة استهزاءً وتكذيبًا، فإنَّه يتضمَّن وصفَهم له —سبحانه– بأنَّه لا يقدر على ذلك وأنَّه عاجزٌ عنه، والعجز وعدم القدرة من صفات المخلوق لا من صفات الخالق، فكان ذلك شركًا»[(٢)].

**الموضع الرابع:** قوله – تعالى–: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤٣].

يأتي الاقتران في الآية الكريمة بعد نفي نسبة الولد لله، الذي «تنزَّه التنزُّهَ الأعظمَ عنْ كلِّ شائبةِ نقصٍ، وتعالى أي علا أعظمَ العلوِّ بصفاتِ الكمالِ عمَّا يقولون من هذه النقائص التي لا يرضاها لنفسِهِ أحدٌ من عُقلاءِ خلقِهِ»[(٣)]، فاجتمع التعظيمُ بلفظِ (سبحانه)، والتعالي (تعالى)، «والمراد البراءة عن ذلك والنزاهة، ومعنى وصف العلوّ بالكبر: المبالغة في معنى البراءة والبعد مما وصفوه به»[(٤)].

---

(١) تفسير ابن كثير، ٤/ ٥٥٦.

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت١٣٠٧هـ)، تحقيق: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المكتبة العصريَّة، صَيدَا – بَيروت، ١٤١٢هـ– ١٩٩٢م، ٧/ ٢٠٦.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٤/ ٣٨٤.

(٤) تفسير الكشاف، ٢/ ٦٦٩.

**الموضع الخامس:** قوله – تعالى–: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[الروم: ٤٠].

يأتي الاقتران بعد تعداد أفعال الله المتفردة (الخلق، الرزق، الإماتة، الإحياء)، فالله «تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَتَنَزَّهَ وَتَعَاظَمَ وَجَلَّ وعَزّ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ أَوْ نَظِيرٌ أَوْ مساوٍ، أَوْ وَلَدٌ أَوْ وَالِدٌ، بَلْ هُوَ الْأَحَدُ الْفَرْدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»[(١)]، وعبارة ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ تُكمل الاستفهام الاستنكاري بحجةٍ بلاغيَّةٍ، يقول السعدي: «فكيف يشركون بمن انفرد بهذه الأمور من ليس له تصرف فيها بوجه من الوجوه؟!، فسبحانه وتعالى وتقدس وتنزه وعلا عن شركهم، فلا يضره ذلك وإنما وبالهم عليهم»[(٢)].

**الموضع السادس:** قوله – تعالى–: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [القصص: ٦٨].

تتحدث الآية عن قدرة الله المطلقة وسلطانه في الخلق والاختيار، حيث يؤكِّد النصُّ أنَّ الله – سبحانه – هو من يخلق ما يشاء ويختار بحكمته دون أن يكون لأحدٍ من خلقه أيُّ سلطةٍ أو خيارٍ في مواجهة إرادته، ثم تأتي عبارةُ "سبحانه وتعالى عما يشركون" لتنزيه الله عن أيِّ شريكٍ أو نقصٍ قد يُنسَبُ إليه من قِبَلِ المشركين، هذا السياق يجعل الجمع بين "سبحانه" و"تعالى" ذا دلالةٍ بلاغيَّةٍ تستحقُّ التأمُّل، إنَّ

(١) تفسير ابن كثير، ٦/ ٣١٩.

(٢) تفسير السعدي، ٦٤٣.

استخدامَ "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" في صيغةٍ موجزةٍ يحملان معاني كثيرة دون الحاجة إلى تفصيلٍ مطوَّلٍ، فكأنَّ الآيةَ تقولُ: "الله منزه عن كل عيب في خلقه واختياره، متعالٍ في شأنه عن أي شريك أو نظير"، هذا الإيجاز يعكس من معجزة القرآن البلاغية، حيث تتكثَّف المعاني العميقة في كلماتٍ قليلةٍ، وتأتي عبارة "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" بعد قول: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾، وهي مناسبةٌ تمامًا للسياق؛ لأنها تؤكِّد أن هذا الخلق والاختيار صادرٌ عن كمالٍ إلهيٍّ لا يشوبه نقصٌ "سُبْحَانَهُ"، وعن سلطانٍ عليٍّ لا يشاركه فيه أحدٌ "تَعَالَى".

ثم تُختم بـ ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ لتنفي أيَّ ادِّعاءٍ بأنَّ لله شريكًا في هذا السلطان، ولو اكتفت الآيةُ بـ "سبحانه" لكان التنزيهُ قد تحقَّق، لكنَّ إضافة "تعالى" جاءت لتؤكِّدَ العلوَّ والسموَّ، مما يعطي معنى إضافيًّا يناسب سياق الخلق والاختيار، فالخلقُ والاختيارُ يتطلبان قدرةً مطلقةً وسلطانًا عليًّا، وهذا ما تُجسِّده "تَعَالَى".

كذلك الجمع بينهما يعكس التوازن بين نفي النقائص "سُبْحَانَهُ"، وإثبات الكمال "تَعَالَى"، وهو أسلوبٌ بلاغيٌّ متكرِّرٌ في القرآن لإبراز عظمة الله من جميع الجوانب.

ولعلَّ الربطَ بين الخلقِ والاختيارِ من جهةٍ، والتنزيه والتعالي من جهةٍ أخرى، يبرز التناسق البلاغي في الآية، حيث يتم نفي الشرك بعد إثبات القدرة المطلقة، ومن الناحية الصوتية، "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" تحمل إيقاعًا متزنًا يتناسب مع جلال الآية، فكلمة "سبحانه" تنتهي بهاء السكون، مما يعطي وقفةً تأمليَّة، ثم تأتي "تَعَالَى" بمد الألف لتضفي إحساسًا بالسمو والرفعة، هذا التناغم الصوتي يعزِّزُ التأثيرَ النفسيَّ للعبارة على السامع.

**الموضع السابع:** قوله – تعالى–: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الزمر:٦٧].

يأتي الاقتران بعد وصف عظمة الله في الخلق والقدرة، وعبارة التنزيه تُظهر أنَّ الله منزهٌ عن الشرك ومتعالٍ في قدرته، «وَجُمْلَةُ سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ إِنْشاءُ تَنْزِيهٍ لِلَّهِ تَعَالَى عَنْ إِشْرَاكِ الْمُشْرِكِينَ لَهُ آلِهَةً، وَهُوَ يُؤَكِّدُ جُمْلَةَ "وَما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ"»[(١)]، فـ "سبحانه" تنزيهٌ وإبعادٌ عن كلِّ شركٍ، و "تعالى" تُعزِّز هذا التنزيهَ بعد إثباتِ قدرةِ الله تعالى بطيِّهِ السماوات والأرض بيمينه، والمقامُ هنا مقامُ تفخيمٍ، دلَّ على ذلك التأكيد بقوله: "جميعًا"، وجمع "لفظ السماوات"[(٢)].

إنَّ اجتماعَ "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" في القرآن الكريم لا يعد تكرارًا لفظيًا، بل هو تكامل بلاغي يؤدي إلى إيصال معاني متعددة في غاية الدقة والبلاغة. فكل لفظ في هذه العبارة يعبر عن معنى قائم بذاته، ولكنهما معًا يشكلان صورة متكاملة تسهم في إبراز العظمة الإلهية من جميع جوانبها، حيث يركز "سبحانه" على التنزيه عن مشابهة المخلوقين ورفض التشبيه، بينما يُظهر "تَعَالَى" رفعة الله عن كل تصور بشري، ويُعلي مكانته فوق جميع المخلوقات، إن هذا الاقتران يمثل نموذجًا رائعًا للبلاغة القرآنية التي تجمع بين العمق

---

(١) تفسير التحرير والتنوير، ٢٤/ ٦٤.

(٢) يُنظر: الفتوحات الإلهيّة بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفيَّة، للإمام سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل (ت ١٢٠٤هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط٥، ١٤٣٩هـ– ٢٠١٨م، ٦/ ٤٤٦.

المعنوي والإحكام اللفظي، مما يجعل الآية تحمل في طياتها معجزة لغوية وروحية لا تنضب.

*****

## الخاتمة

إنَّ القرآن الكريم ببلاغته الفائقة وعظمته الربانية قد قدَّم لنا في ألفاظه وأسلوبه شواهدَ تُبرزُ كمالَ الله تعالى، وتُظهر تفرده عن سائر المخلوقات، وقد كانت الكلمات البلاغية مثل: "سُبْحَانَهُ" و "تَعَالَى" من أبرز الألفاظ التي استُخدمت في القرآن لتأكيد عظمة الله وتنزيهه عن كلِّ نقصٍ أو مشابهةٍ للمخلوقات. وقد خرجَ البحثُ بنتائجَ، أهمُّها:

- هاتان الكلمتان "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" ليست مجرد تعبيراتٍ لفظيَّةٍ عابرةٍ، بل هي أدواتٌ بلاغيَّةٌ دقيقةٌ تهدف إلى توجيه العقل والقلب نحو فهمٍ أعمقَ وأصدقَ لكلامِ الله سبحانه وتعالى، وتعزيز الشعور بالتعظيم والاحترام لله الخالق في كلِّ جوانب حياتنا.
- إنَّ استخدام "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" في القرآن الكريم ليس مجرد تنويعٍ لفظيٍّ، بل هو تعبيرٌ دقيقٌ يحمل دلالاتٍ عميقةً تتناسب مع السياقاتِ القرآنيَّة.
- لقد بيّن لنا القرآنُ الكريمُ كيف أنَّ استخدام "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" على وجه الخصوص يمثل تنزيهًا لله عن كل نقصٍ وتأكيدًا لعلو مكانته، مما يسهم في بناء الإيمان الكامل والتوحيد العقائدي لدى المسلم.
- وبالمقارنة مع ألفاظ أخرى مثل: "الكبير" و"المتعالي"، نجد أنَّ القرآنَ الكريمَ يحرص على توظيف الألفاظ المناسبة؛ لتسليط الضوء على جوانبَ متعددةٍ من صفات الله تعالى، بما يتناسب مع السياق البلاغي والهدف العقائدي والتربوي الذي يُراد تحقيقه.

- تبيَّنَ في هذه الدراسة البلاغية كيف أنَّ لهذه الألفاظ أثرًا بالغًا في تحفيز السلوك الإيماني، وجعل المسلم يتطلع دائمًا إلى إدراك عظمة الله وجلاله، مما يُسهم في ترسيخ التوحيد في النفوس وتوجيه المؤمنين نحو التواضع والخشوع أمام الله – عز وجل– وأنَّ فهمَ هذه الألفاظ بعنايةٍ ودقَّةٍ يجعلنا نعيش مع المعاني القرآنية بأعمق تأثير ممكن، ويقودنا إلى التمسُّك بقيم الإيمان التي لا تُقاس إلا بعظمة الله وكماله.

- الجمعُ بين هاتينِ اللفظتين يعكس التوازنَ بين نفي النقائص "سُبْحَانَهُ"، وإثبات الكمال "تَعَالَى"، وهو أسلوبٌ بلاغيٌّ متكرِّرٌ في القرآن؛ لإبراز عظمة الله من جميع الجوانب.

- تُركز لفظةُ "سبحانه" على التنزيه عن مشابهة المخلوقين ورفض التشبيه، بينما تُظهر لفظةُ "تَعَالَى" رفعةَ الله عن كلِّ تصوُّرٍ بشريٍّ، وتُعلي مكانته فوق جميع المخلوقات.

- غالبًا ما يُتبَعُ التنزيهُ بلفظِ التسبيحِ بجملةٍ بيانيَّةٍ، إمَّا تعليليَّة أو تأكيديَّة؛ لنفي النقص عن الله عزَّ وجلَّ.

- اتَّضح أنَّ الافتراقَ يُركِّز على التنزيه، بينما الاجتماع يُضيف الرِّفْعة، وعلى ذلك فإنَّ "سُبْحَانَهُ" تُركِّز على نفي النقص أو إثارة التعجب، كما في سياقات القدرة الإلهية أو ردِّ الافتراءات، بينما تُستخدم "تَعَالَى" لإثبات العلوِّ والرفعةِ في مقامات التعظيم.

- أنَّ لفظةَ "سُبْحَانَهُ" عندما ترِدُ منفردةً، تكون دلالتها محصورةً في التنزيه الخالص عن النقائص، وترد غالبًا في سياقاتٍ تتعلق بإبعاد الله عن النقص.

- أنَّ لفظةَ "تَعَالَى" تؤدي وظيفةً محددةً: (تنزيهًا، تفخيمًا، ردًّا) بما يتناسب مع المقام، معتمدةً على قوتها الذاتية كلفظةٍ تحمل العلوَّ والجلال، هذا الإيجاز يجعلها أداةً بلاغيَّةً فذَّةً تترك أثرًا عميقًا في النفس، وتؤكِّد عظمة التعبير القرآني في الجمع بين الاختصار والمعاني العظيمة.

- اجتماع "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" يحمل دلالة التنزيه الشامل لله – تعالى- عن كلِّ ما لا يليق بجلاله، سواءٌ كان ذلك في الذات، أم الصفات، أم الأفعال.

وفي الختام، يبقى أنَّ البلاغة القرآنية، بما فيها من دقةٍ في اختيار الألفاظ وتوجيه المعاني، تظلُّ على مرِّ العصور مصدرَ إلهامٍ للمسلمين في فهم عقيدتهم وأخلاقهم وسلوكياتهم، فالكلمات التي تُستخدم في وصفِ الله -سبحانه- ليست مجرد ألفاظ مجردة، بل هي أدوات حية تنبض بالحكمة والروعة في إبراز أسمى صور التوحيد والتعظيم لله تعالى، وتُعلي من شأنه بما يتجاوز كلَّ تصورٍ بشريٍّ.

*****

والله أسأله قبولًا وتوفيقًا

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

# ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم – جلَّ مَنْ أنزله–.

١. اشتقاق أسماء الله، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (ت ٣٣٧هـ)، تحقيق: د. عبد الحسين المبارك، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٢. الإتقان في علوم القرآن، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، المملكة العربية السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د.ت.

٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للعلامة محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ)، دار عالم الفوائد- جدة، ط١، ١٤٢٦هـ.

٤. آل حم (الشورى- الزخرف- الدخان) دراسة في أسرار البيان، د/ محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة- القاهرة،ط١، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

٥. الأمالي، لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (ت ٣٥٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، طبعة ٢٠١٠م.

٦. البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: د/ يوسف عبد الرحمن المرعشلي وآخرون، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٧. تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الحسيني الزبيديّ، تحقيق: جماعة من المختصّين، من إصدارات وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٨. التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت٦١٦هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٧٦م.

٩. التحرير والتنوير- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر ابن عاشور، الناشر: الدار التونسية للنشر– تونس، ١٩٨٤هـ.

١٠. التسبيح في الكتاب والسنة والرد على المفاهيم الخاطئة فيه، د/ محمد بن إسحاق كندو، مكتبة دار المنهاج- الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.

١١. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

١٢. تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ١٤٣١هـ.

١٣. تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ)، بعناية: صدقي محمد جميل العطار، زهير جعيد، عرفان العشا حسّونة، دار الفكر- بيروت، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

١٤. تفسير البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

١٥. تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤٢٢ هـ- ٢٠٠١م.
١٦. تفسير القرطبي= الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي(٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية- القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.
١٧. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
١٨. تفسير الماورديّ النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د.ت.
١٩. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، دار الفكر (دمشق- سورية)، دار الفكر المعاصر (بيروت- لبنان)، ط١، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.
٢٠. تفسير عبد الرزاق، لأبي بكر عبد الرزاق اليماني الصنعاني (ت٢١١هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، ط١، ١٤١٩هـ.
٢١. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
٢٢. التوقيف على مهمات التعاريف، للشيخ عبد الرؤوف المناوي(ت ١٠٣١هـ)، تحقيق: د/ عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتب- القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
٢٣. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
٢٤. جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري: جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر- مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ- ٢٠٠١م.
٢٥. خصائص الحروف العربية ومعانيها- دراسة-، حسن عباس، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٨م.
٢٦. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي(٩١١هـ)، تحقيق: د. عبد الله ابن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
٢٧. دلائل الإعجاز، للإمام عبد القاهر الجرجانيّ (ت٤٧١هـ)، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٥، ٢٠٠٤م.
٢٨. دلالات التراكيب دراسةٌ بلاغيَّةٌ، د/ محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة- القاهرة، ط٣، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
٢٩. ديوان جرير، تحقيق: كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر- بيروت، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
٣٠. شرح أسماء الله الحسنى، لأبي القاسم عبد الكريم القشيريّ، تحقيق: أحمد عبد المنعم عبد السلام الحلواني، دار آزال- بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
٣١. شرح المفصل للزمخشري، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي

الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (ت ٦٤٣هـ)، تقديم: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢ هـ- ٢٠٠١م.

٣٢. شرح شافية ابن الحاجب، حسن بن محمد بن شرف شاه الحسيني الأستراباذي، ركن الدين (ت ٧١٥هـ)، تحقيق: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، د.ت.

٣٣. علاقة المطالع بالمقاصد في القرآن الكريم دراسة بلاغية نظرية تطبيقية، د/ إبراهيم الهدهد، مكتبة الإيمان- القاهرة، ط١، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

٣٤. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل- بيروت، ط٥، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

٣٥. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت١٧٠هـ) تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ت.

٣٦. غرائب التفسير وعجائب التأويل، تاج القُرَّاء محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني (ت نحو ٥٠٥هـ)، دار القبلة للثقافة الإسلامية- جدة، مؤسسة علوم القرآن- بيروت، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٣٧. فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت١٣٠٧هـ)، تحقيق: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المكتبة العصريَّة، صَيدَا – بَيروت، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٣٨. الفتوحات الإلهيّة بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفيَّة، للإمام سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل (ت ١٢٠٤هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط٥، ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م.

٣٩. كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ت.

٤٠. كتاب سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، (ت١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٤١. لسان العرب، لابن منظور محمد بن مكرم جمال الدين الأنصاريّ، طبعة دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة عشرة، د.ت.

٤٢. مجمل اللغة، لابن فارس القزويني الرازي، أبي الحسين (ت ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، ط٢، مؤسسة الرسالة– بيروت، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٤٣. مجموعة أجزاء حديثية "مسألة سبحان لنفطويه"، أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة ابن سليمان بن المغيرة بن حبيب العتكي الأزدي الواسطي المعروف بنِفْطَوَيْهِ (ت ٣٢٣هـ)، قدم لها وعلق عليها وخرج أحاديثها: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار الخراز، السعودية، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٤٤. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن ابن تمام ابن عطية الأندلسي المحاربي (ت٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٤٥. المحيط في اللغة، لكافي الكُفاة الصَّاحب بن عباد (٣٢٦- ٣٨٥هـ)، تحقيق الشيخ: محمد حسن آل ياسين، ط١، عالم

الكتب- بيروت، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.
٤٦. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت- صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٤٧. المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سِيدَه المرسي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
٤٨. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي- بيروت، ط٣، ١٤١٦ هـ- ١٩٩٦م.
٤٩. معالم التنزيل، البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت٥١٦هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ.
٥٠. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٥١. المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، د. محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب- القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.
٥٢. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، د.ت.
٥٣. معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، أبو الفضل عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، مكتبة الآداب- القاهرة، ط١، - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
٥٤. المعنى القرآنيّ معالم الطريق إلى فقهِهِ في سياقِ السورة رؤية منهجيَّة ومقاربة تأويليَّة، د/ محمود توفيق محمد سعد، مكتبة وهبة- القاهرة، ط١، ١٤٤٢هـ- ٢٠٢١م.
٥٥. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري، تحقيق: د/ عبد اللطيف محمد الخطيب، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
٥٦. المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالرَّاغب الأصفهانيّ (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية- دمشق بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
٥٧. المقتضب، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر، أبو العباس، المعروف بالمبرد (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، الناشر: عالم الكتب- بيروت، ١٤٣١هـ.
٥٨. المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥ هـ)، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، الناشر: الجفان والجابي- قبرص، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٥٩. من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم (الفاء وثم)، د/ محمد الأمين الخضري، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٧م.
٦٠. من دقائق العربية (تَعَالَوْا) بفتح اللام و(تَعَالُوا) بضمها، د/ أحمد عيد عبد الفتاح الأزهري، مقال منشور على الشبكة العنكبوتيَّة، موقع الألوكة، بتاريخ: ٢٠/ ٨/ ١٤٣٨هـ، ١٧/٥/ ٢٠١٧م.

٦١. من روائع القرآن، تأمُّلاتٌ علميَّة وأدبيَّة في كتاب الله عزَّ وجلَّ، د/ محمد سعيد رمضان البوطي، مؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٣م.
٦٢. النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمد بن عبد الله دراز (ت ١٣٧٧هـ)، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، قدم له: أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥.
٦٣. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٥هـ)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد– الهند، وصوَّرتها دارُ الكتاب الإسلامي بالقاهرة، ط١، ١٤٠٤هـ– ١٩٨٤م.

## فهرس المحتوى


| | |
|---|---|
| **ملخص البحث** | **٦٨٣** |
| **المقدمة** | **٦٨٧** |
| **المبحث الأول: دراسة كلمة "سُبْحَانَهُ" ودلالاتها البلاغيَّة** | **٦٩٤** |
| **المطلب الأول:** الدَّلالة اللُّغويَّة لمفردة "سُبْحَانَهُ" ومعانيها السِّياقية | **٦٩٤** |
| **المطلب الثاني:** البلاغة في "سُبْحَانَهُ"، ودلالتها على التَّنْزيه المطلق | **٧٠٦** |
| **المطلب الثالث:** سياقات "سُبْحَانَهُ" في القرآن الكريم. | **٧١٠** |
| **المطلب الرابع:** سياقات ورود "سُبْحَانَهُ" في التَّسْبيح والعبادة | **٧٢٣** |
| **المبحث الثاني: دراسة كلمة "تَعَالَى" ودلالاتها البلاغية** | **٧٤٠** |
| **المطلب الأول:** الدَّلالة اللُّغويَّة لمفردة "تعالى" ومعانيها السِّياقية. | **٧٤١** |
| **المطلب الثاني:** الدلالات البلاغة لمفردة "تعالى". | **٧٤٦** |
| **المطلب الثالث:** الدلالات السياقية لمفردة "تعالى" في القرآن الكريم. | **٧٥٣** |
| **المطلب الرابع:** سياقات ورود "تعالى" في القرآن منفردة. | **٧٥٩** |
| **المبحث الثالث: بلاغة اجتماع "سبحانه" و "تعالى" وافتراقهما في القرآن الكريم** | **٧٦٧** |
| **المطلب الأول:** الدقة البلاغية في افتراق "سبحانه" و"تعالى" في النص القرآني. | **٧٦٧** |
| **المطلب الثاني:** الدلالة البلاغية لاجتماع "سبحانه وتعالى" في القرآن الكريم. | **٧٧٢** |
| **الخاتمة** | **٧٨٢** |
| **ثبت المصادر والمراجع** | **٧٨٥** |
| **فهرس المحتوى** | **٧٩٠** |